السنة الأولى **الأستاذة: تيقرين**

مقياس: مدخل إلى علوم التربية

المحاضرة السادسة

أسس التربية

أولا: الأسس الفلسفية

المدارس الفكرية والفلسفية للتربية:

لقد جاءت المحاولات والدراسات البشرية حول الحياة الدنيا والقضايا الوجودية عبر تاريخ هذا الإنسان ضمن فلسفات ومدارس فكرية، تشابه بعضها مع بعض في نقاط واختلفت في نقاط أخرى. لذلك فإننا نرى لكل فلسفة أو مدرسة فكرية طابعها الخاص الذي يميزها عن بقية المدارس الأخرى. وهذا الاختلاف يعود إلى طبيعة الإنسان واختلاف الأهواء من شخص إلى آخر ومن وقت إلى آخر. وقد اتبع كل فلسفة أو مدرسة فكرية قسم من الناس على أساس أن هذه المدرسة هي التي تنطق بالحق والحقيقة وتناسب الإنسان في ظروفه وطموحاته كافة. وقد استخدم أتباع كل مدرسة فكرية جميع قدراتهم المتعددة للذود والدفاع عن المبادئ الأساسية التي تنادي بها مدرستهم ومدى صلاحيتها للإنسان في جميع ظروفه وأزمانه المتعددة.

وسوف نورد المبادئ الأساسية لكل فلسفة من هذه الفلسفات لنرى معا كيف اختلفت هذه الفلسفات بعضها مع بعض حول القضايا الأساسية التي شغلت الإنسان عبر تاريخه، وكيف فهم اتباع كل فلسفة الحياة الدنيا من خلال مبادئ مدرستهم الفكرية.

أولا: فلسفة التربية المثالية

تعد الفلسفة المثالية أقدم الفلسفات الواضحة المعالم، واستمرت تجتذب قدرا من الفلاسفة والمفكرين، ويهز إليها المربون والعلماء في العصر الحاضر.

ويرجع نشأة الفلسفة لمثالية إلى "أفلاطون" (429-347ق.م) الذي يعتبر بحق المؤسس الأول لهذه الفلسفة وإليه ترجع الأصول الأولى.

ثم اتسعت هذه الفلسفة وانتشرت على يد ممثلين بارزين هم "باركلي" و"هيجل" و"كانط" و"شوبنهاور" و"سبينوزا"، وغيرهم كثيرون، رغم الاختلافات الكبيرة بينهم.

أما أبرز التربويين الممثلين للمثالية فهم: "كومينوس"، و"باستالوزي" و"فروبل" وغيرهم. ومن هذه الأسماء يبدو أن المثالية كانت أكثر انتشارا في الفكر الألماني، والفرنسي.

والفلسفة المثالية تعني بوجه عام الاتجاه الذي يرجع الوجود إلى الفكر أي أن الواقع الطبيعي الذي نعيشه ويحيط بنا هو روحي في أساسه. فالواقع الطبيعي ليس له وجود مطلق، وإنما الروح هي حقيقته وجوهره. أي أن الروح أو العقل هو العالم الحقيقي، أما الأشياء في العالم الطبيعي، إذا كانت أشباح أو ظلال لعالم المثل، فإن هذه الأشياء لا وجود لها إلاّ بمقدار إدراك العقل لها، واقترابها من عالم المثل.

ويمكن تفسير ذلك المعنى بالنظر إلى الجذور الأولى للمثالية التي وضعها "أفلاطون" من خلال نظرية المثل حيث يقسم "أفلاطون" العالم إلى قسمين: عالم علوي سماوي لا يحوي الأشياء المادية، وإنما يحوي المثل العليا من الخير، والحق، والجمال، ويوجد فيه العدل المطلق، والحقيقة المطلقة، وهذا العالم أزلي خالد، غير قابل للتغيير. وعالم سفلي مادي متغيّر، ندركه بحواسنا، وهو عالم مضطرب متغير ونهايته الفناء.

فعالم المثل حقيقة كلية مجردة، له وجود مطلق، وهو عالم الفضائل، بينما العالم المادي الحسي فهو عالم متغير، وهو زائف ليس له وجود إلاّ بمقدار قربه من المثل، لأن الحواس غير قادرة على معرفة الحقيقة وإدراكها، كونها غير صادقة في إدراكاتها، لأنها لا تدرك سوى عوارض الأشياء، أي الأمور المتغيرة، بينما العقل أو الروح هو الوحيد الذي يستطيع الوصول إلى الحقائق والأفكار، لأن العقل هو القادر على الاتصال بالأفكار الثابتة الموجودة في عالم المثل، وهو يستمد ثباته وخلوده منه، على أساس أن الروح قبل أن تهبط إلى العالم السفلي وتحلّ في جسم مادي كانت الروح تعرف الحقائق والمثل العليا، ولكن عندما اتصلت بالجسد المادي فإنها تحاول أن تسترجع وتتذكر ما كانت تعرفه من حقائق ومثل في العالم العلوي، وهي تستعين بالعقل، لأنه الوسيلة السليمة للوصول إلى الحقائق والأفكار، وبالعقل يكون الإنسان أقرب إلى الحق والفضيلة. وبالجسم يكون الإنسان أقرب إلى الخطيئة، كون الجسم محكوم بالغرائز والشهوات، وإذا سيطر العقل على الجسم ابتعد الإنسان عن الشر والرذيلة، واقترب من الحق والفضيلة.

المبادئ العامة للفلسفة المثالية:

1- العقل والروح جوهر العالم ووجوده الحقيقي:

إن جوهر العالم الحقيقي هو العقل أو الروح، لأن العالم كله كما يرى "أفلاطون" كان عالم فكر قبل أن يكون عالم مادي محسوس، وخلف هذا العالم المحسوس أو قبله يوجد عالم الأفكار الثابتة والمثل النقية الأزلية، وهذا هو الوجود الحقيقي الذي يصل العقل إليه.

وعالم المثل، بعيد المنال بالنسبة للحواس، ولا يدركه سوى العقل، أما المادة أو المحسوسات فهي أشباح أو أشكال لعالم المثل أو صور له.

2- الوجود المادي ليس مستقلا عن ذات الإنسان:

إن كل ما يحيط بنا من ظواهر مادية كالجبال، والأشجار...إلخ، ليست واقعا مستقلا عن الإنسان، بل ظلا لفكر الإنسان، أو أنه هو الذي يدركها بعقله، ومعنى هذا أن الوجود المادي يوجد في الذهن، كما يرى "بروكلي" الذي يؤكد أن صفات الأشياء مثل اللون، والطعم، والأشجار، وغيرها لا وجود لها إلاّ في عقل الإنسان، وهي في نهاية الأمر ماهي إلاّ أفكارنا عن هذا الشيء المادي أو تصوراتنا الذاتية عنه.

3- ثنائية الطبيعة البشرية:

ترى الفلسفة المثالية أن طبيعة الإنسان شيء ينقسم إلى عقل وجسم، عقل ليس له حدود، متصل بالروح أي متصل بالأفكار الثابتة الأزلية الموجودة في عالم المثل، حيث ان الروح كانت موجودة قبل وجود الحياة في العالم العلوي المثالي، تشاهد المثل، وتعيش الفضائل بعيدة عن الجسم والمادة... وعندما هبطت إلى العالم السفلي، ارتبطت بالجسم واتحدت به اتحادا مؤقتا، طغى الجسم عليها، وأنساها ما كانت تعرفه في عالم المثل.

أما القسم الثاني من الطبيعة الإنسانية فهو الجسم له حدود مكانية، مرتبطة بمادة متغيرة تنتمي إلى العالم السفلي الزائل، والجسميعطل عمل العقل، والحواس غير صالحة لإدراك الحقيقة، لأنها لا تدرك سوى العوارض المتغيرة، لذلك على العقل أن يقهر الجسم ويكبح غرائزه، كون العقل هو الذي يدرك الحقائق والأفكار، ولهذا يعلي المثاليون العقل على الجسم، وأفضل نمو هو النمو العقلي والروحي والخلقي حتى يستطيع الفرد الاتصال لأفكار الخالدة في عالم المثل.

4- المعرفة مستقلة عن الخبرة الحسية:

يرى المثاليون عموما أن مصدر المعرفة هو عالم المثل، وهو عالم يتسم بالثبات والديمومة، وبالتالي فهو مصدر المعرفة الحقيقية وأداة الوصول إليها هو العقل.

والعقل مزوّد بإمكانات الإدراك والتمييز، والتركيب، والتحليل، والحكم، وبه يمكن الوصول إلى الحقائق المجرّدة.

كما يؤمن المثاليون بثبات الحقائق وخلودها.

5- الغائية:

ترى الفلسفة المثالية أن لهذا العالم خالق مبدع، وجد لتحقيق رسالة الروح والعقل، وأن هذا العالم لا يتحرك بطريقة عشوائية، بل يسير وفق خطة لتحقيق غاية العقل الخالص أو الروح المطلق، وهي غايات وجدت قبل العالم.

6- ثبات القيم وأزليتها:

تؤمن الفلسفة المثالية بأن القيم مطلقة وثابتة، لأنها مستمدة من عالم المثل، فالخير والحق والجمال ليس من صنع الإنسان، بل هما جزء من تركيب الكون، والحكم على القيم يكون

صادر من العقل الذي يقدمه الإنسان، وليس من إحساسه، وحكمه العقلي هذا مصدره الفيض الإلهي في جسم الإنسان، والذي يمكنه من إدراك الحقائق الأزلية والوصول إلى الفضائل العليا.

التطبيقات التربوية لفلسفة التربية المثالية:

طبيعي أن تترجم أفكار الفلسفة المثالية في بناء فكري تربوي بمحتواه وأساليبه وأهدافه ويتجلى ذلك فيما يلي:

أثمرت الجهود الأولى للفلسفة المثالية التي وضعها "أفلاطون" و"سقراط" في تكوين نظام تربوي يتألف من مراحل تعليمية تتولفق مع نمو الفرد عقليا وخلقيا، تتسم مواده بالتسلسل المنطقي، كون عقل الإنسان منظم بطريقة منطقية، فلا يدرس التاريخ إلاّ بعد دراسة القراءة، كما لأن التاريخ يدرس على أساس تتابعه الزمني، وكل مرحلة تعد تأهيلا للمرحلة التي تليها، وبما يسمح بنمو أفكار الطفل الفطرية الكامنة فيه، وإخراج هذه الأفكار من حالة النسيان التي أصابت عقل الطفل عند الميلاد، وإخراجها إلى النور أو إلى الوعي، وبذلك فإن الجهل نسيان الأفكار، والتعلم استرجاع أو تذكر لها من حالة النسيان.

والتعليم يكون حسب تقسيم الناس إلى ثلاث فئات: فئة العاملين المنتجين أو العبيد، وفئة الجند المحاربين، وفئة الفلاسفة أو الحكماء، على أساس أن كل الناس لا يتمتعون بصفات عقلية وخلقية واحدة. فهم على درجات، وعلى التعليم تضيف الناس إلى تلك الفئات، من خلال تقديم تعليم أو تدريب أو إعداد الصفوة العقلية والفكرية من الأحرار الذين سيكونون فئة الفلاسفة والحكماء، ويتولون قياده المجتمع، وتحقيق السيادة والقوة لهذا المجتمع.

الأهداف التربوية في التربية المثالية:

- تتركز أهداف التربية المثالية في تنمية الفرد عقليا وخلقيا.
- تدريبه على إدراك الحقائق الثابتة، والمعارف الكلية للوصول إلى الفضائل والمثل.
- اقتصار التعليم على العلوم النظرية ذات الطابع العقلي التحليلي التي تساعد على تنمية الملكات العقلية، كالفلسفة والرياضيات والمنطق.
- تهدف إلى التحكم في الجسم بإعلاء الغرائز وكبت الرغبات، والتحكم في الحواس، وتوجيه الإرادة.
- فرض الأوامر لغرس الطاعة والاحترام، والالتزام بالنظام الصارم.
- استخدام العقاب البدني لكبح شهوات الجسم من أجل شحذ قدرات العقل وتهذيب الروح.

المنهج في التربية المثالية:

لتحقيق الأهداف السابق ذكرها في التربية المثالية، فإن المنهج يجب أن يشتمل على المواد الدراسية النظرية، التي تساعد الفرد على النمو العقلي، والخلقي، كالفلسفة، والمنطق والرياضيات، والدين ، والأدب، أما العلوم التطبيقية والتجريبية فقد استبعدت، كونها مرتبطة بالعالم المادي السفلي، وهي إذا كانت تعالج موضوعات جزئية، فهي بعيدة عن القيم، حيث لا تقرر ماهو الخير والشر...إلخ.

- يشتمل المنهج أيضا على الخبرة الإنسانية للجنس البشري، سواء ما اتصل منها بالماضي من التراث القديم.
- الإطلاع على الكتب الكلاسيكية التي خلفها العباقرة، وتمثل خلاصة الفكر البشري عبر القرون.
- الإطلاع على كتب اللغات القديمة، وكتب التراث الثقافي عمةما.
- كونها تساعد استثارة العقل من خلال حكمة التاريخ.

إذن يحتل الكتاب مركز الصدارة في التربية المثالية.

طرق التدريس في التربية المثالية:

تعتمد طرق التدريس في التربية المثالية من جانب المعلم على:

- الإلقاء والمحاضرة، ثم المناقشة والجدل، كوسيلة أساسية لتوصيل المعلومات إلى المتعلمين.
- ومن جانب المتعلمين فيتعلمون على التدريب الشكلي، القائم على الحفظ والاستظهار في الصغر، ثم تتحول إلى الحوار والمناقشة في الكبر، لتوسيع آفاق التلاميذ، وتزويدهم بمهارات التفكير المنطقي، والاستنباطي.

النشاط الطلابي في التربية المثالية:

تمهل التربية المثالية النشاط الطلابي، وترى أنه يتعارض مع النشاطات العقلية، لأن النشاطات العلمية وتدريب الحواس، وكذا النشاطات الجسمية والترويحية تعوق النمو العقلي، والأفضل لهم القراءة والإطلاع حتى في أوقات فراغهم، فهذا أفضل لهم لتحصيل المعارف واستثارة تفكيرهم، أما ممارسة المهن والهوايات الجسمية، فتحول دون نقاء العقل وصفاء الذهن، كونها تقوي غرائز الجسم وشهواته وهذه بدورها تحول دون عمل العقل.

مكانة المعلم والطالب في التربية المثالية:

للمعلم والتلميذ مكانة خاصة في فلسفة التربية المثالية، فللمعلم مكانة عظمى نابعة من جسامة أدواره، حيث يجب أن يكون معلما ممتازا، يثبت تفوقه المعرفي، وبصيرته الإنسانية النافذة، يتسم بالعبقرية، وسعة الإطلاع والثقافة، ويكون قدوة حسنة للتلاميذ من الناحية العقلية والخلقية، حساسا للقيم،

فاهما لطبيعة الإنسان، يتميع بمهارات التدريس. والمعلّم الجيد هو الذي يهيئ بيئة صالحة لنمو ملكات الطفل وقدرته الكامنة، يساعدهم على صقلها في جو من الحرية، والهدوء والاحترام، والانضباط الأخلاقي، للوصول بهم إلى درجة الكمال، بمساعدة أنفسهم، وهذه المكانة الكبيرة تجعل مهمة المعلم جليلة وخطيرة، وليس بمقدور أي فرد أن يكون معلما بدون تلك المواصفات والصفات، أما التلميذ فعليه الطاعة والانضباط الصارم للتعاليم المدرسية، ثم يبدأ تدريجيا باكتشاف قدراته الفطرية وصقلها بأفكار من سبقوه، وإخراج ما لديه من ملكات كامنة فيه.

الفلسفة الطبيعية:

ظهرت هذه الفلسفة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ويعد الفيلسوف الفرنسي "جان جاك روسوا" من أهم رواد هذه الحركة، والذي ثار كثيرا على المفاهيم التي رآها خاطئة في تربية الطفل فهو يؤكد على أهمية العناية بالطفل ليتحرّك بحرية ويلعب ويتمتع بحياة الطفولة، لأنّ الطبيعة تتطلب أن يكون الأطفال أطفالا قبل أن يكونوا رجالا.

ويقوم المذهب الطبيعي على الإعلاء من شأن الطبيعة المادية والطبيعية البشرية والدعوة إلى حياة الطبيعة والحطّ من شأن المدنية القائمة في عصره والدعوة إلى تنظيم المجتمع وإعادة بناء الدين بما يتفق مع الطبيعة البشرية، والإيمان بالعواطف والمشاعر الإنسانية، والإيمان بحقوق الجميع، الإيمان بالطبيعة الخيّرة للإنسان وبوجوب تربية التربية بما يتفق وطبيعته وميوله وحاجاته الحاضرة. ولهذا ثار "روسو" على الهيئة الاجتماعية ونظمها القائمة ولجأ إلى نقد التربية التي كانت سائدة آنذاك.

المبادئ الأساسية للفلسفة الطبيعية:

طبيعة الإنسان: تؤمن بأن طبيعة الإنسان خيرة، كما تؤمن ببراءة الطفل التامة، وإنكار كل انحراف أصلي في قلب الإنسان، وكل ما يطرأ قلبه من حقد أو كراهية وحسد وأنانية وفخر فهو ناتج من البيئة الفاسدة التي عاش فيها وليس من فطرته الأصلية.

طبيعة المجتمع: تعطي هذه الفلسفة قيمة كبيرة للخبرة الاجتماعية، والتي تكتسب بالممارسة العملية عن طريق تكوين مجتمع طبيعي قائم على الحكم الذاتي وممارسة الانتخاب، فهي فلسفة تنادي بالمجتمع الطبيعي القائم على العدالة والمساواة بين الأفراد مع نبذ الطبقية القائمة على الظلم والمساواة.

طبيعة العالم: تؤمن هذه الفلسفة بالعالم الواقعي المعاش والذي تتعرف عليه بحواسنا.

طبيعة التربية: تؤكد هذه الفلسفة على التربية السلبية ما بين سن الخامسة والثانية عشر والتي تعتمد على الخبرة والممارسة العملية والاحتكاك بالأشياء أكثر من الاعتماد على التلقين اللفظي وحشو ذهن الطفل

فالتجربة هي التي يجب أن تتولى تعليمه وتهذيبه، كما يجب الحرص على عدم المبالغة في حماية الطفل والعناية به وعدم إجباره على تكوين عادة معينة وعدم تلبية جميع رغباته. وتدافع هذه الفلسفة عن التعليم المختلط ورفض فكرة المدارس الداخلية.

خصائص الفلسفة الطبيعية من الناحية التربوية:

- إن المنهج الطبيعي يراعي نمو الطفل واهتماماته، وذلك بالاعتماد على الأنشطة والخبرات المساعدة على النمو، ويتألف هذا المنهاج على العلوم الطبيعية والفلك والجغرافيا، وذلك عن طريق الرّحلات لا عن طريق الكتب، كما يهتم هذا المنهج بالتعليم المهني.
- فيما يخص طريقة التدريس فهي تعتمد على الخبرة لهذا قال "روسوا": "لا تعط الطفل دروسا شفوية أبدا، ولكن يجب أن يتعلم عن طريق الخبرة"
- لا تؤمن هذه الفلسفة باستخدام العقاب البدني واللجوء إلى العنف والقوة لتقويم السلوك أو لحفظ النظام، وإنما يجب أن تترك الطبيعة تربي الطفل.
- فيما يخص المدرّس، تؤكد الطبيعة على أن يكون موجها فقط، وأن يعمل على تشجيع الطفل على تربية نفسه بنفسه، وعدم التدخل في عمل الطفل، إذ يجب أن يكون المدرّس شاهدا محايدا ولا يتدخل إلاّ عند الضرورة.

التربية عند جون جاك روسوا:

ولد جون جاك روسوا في "جنيف" عام 1812 من أب فرنسي الأصل وأم سويسرية، كان أبوه صانع ساعات يمتاز بخفة الروح وقوة العاطفة وكانت أمه أديبة وفنانة ذكية وذات شغف بالموسيقى، وقد توفيت أمه في الأسبوع الأول من عمره فكفلته عمته، ولكنها لم تعتن به عناية الأمومة ولم تهتم بتقويم سلوكه، ولما بلغ السادسة من عمره بدأ أبوه يعلّمه القراءة ويقرأ له كل ليلة ما تركته أمه من قصص أدبية وروايات، ثم تحول به إلى قراءة كتب التراجم والتاريخ، لما قويت عنده العاطفة والخيال وروح البطولة والحرية، درس في إحدى المدارس المواد التقليدية السّائدة، وتعلم الفلاحة وعمل البساتين مما سمح له الاتصال بالطبيعة والعيشة في كنفها فأحبّها.

ولقد ثار "روسوا" على كثير من المفاهيم التي يراها خاطئة في تربية الطفل فالطبيعة تتطلب أن يكون الأطفال أطفالا قبل أن يكونوا رجالا، فهو يؤكد على أهمية العناية بالطفل ليتحرك بحرية ويلعب ويتمتّع بحياة الطفولة كما يجب التقليل من الأوامر والنواهي التي يصدرها له الكبار.

أفكار روسوا التربوية:

لقد ظهرت أفكار "روسوا" كما شرحها في كتابه التربوي –إيميل– الذي نشره لأول مرة عام 1862، وقد جمع فيه بين الرواية والمقالة، وقد قسّم "روسوا" مؤلفه هذا إلى خمسة أقسام شرح في كل قسم التربية المناسبة لكل مرحلة من مراحل نمو –إيميل–.

القسم الأول:

فهو يرى أن الطبيعة خلقت الإنسان صالحا وما على التربية إلا أن تمنعه من الاحتكاك بالمجتمع قصد الحفاظ على صلاح الإنسان.

القسم الثاني:

وهو يتناول الفترة بين 3–4 سنوات إلى 12 سنة، وهنا يصبح الولد جاهزا للتعلم والتعليم، ويجب ترك الطفل يتعلم بالتجربة والنشاط في الطبيعة بما يتناسب ومستوى عمره وتفكيره واهتمامه.

القسم الثالث:

ويتناول فيه الإنسان من 11–12 سنة حتى 15 سنة، وهنا يجب تعويد الطفل على ملاحظة ما يدور حوله، فيتعلم الجغرافيا بمشاهدة الطبيعة مباشرة، وكذلك يجب الاهتمام بتعليمه الفيزياء والفلك.

القسم الرابع:

ويتناول الفترة ما بين 15–20 سنة يتضمن التربية الخلقية والدينية، وهو يرى أن المبدأ الأساسي في الأخلاق أن قواعد السلوك لا تأتي نتيجة دروس فلسفية عالية، وأن الضمير هو المبدأ الأساسي للعدالة والفضيلة، ويتعلم مبادئ الدين في الثانية عشر من العمر، فلا نفرض عليه ديانة أو مذهب بل نترك له الخيار.

القسم الخامس:

يقول برحلة مدة سنتين إلى الدول الأوروبية يتعرف على أنظمتها الاجتماعية وعلى شعوبها وعاداتهم وتقاليدهم.

ومما سبق فالعملية التربوية في نظر "روسوا" ينبغي أن تتركز على تدريب الحواس وفي التربية يؤكد على الخبرة والممارسة والاحتكاك بالأشياء بدلا من التربية التي تقوم على الألفاظ والتلقين.

المبادئ التربوية العامة قي كتاب –إميل–:

1- الإيمان ببراءة الطفل التامة وخيرية طبيعته الأصلية، وهو ينكر أي إنحراف أصلي في قلب الإنسان، وكل ما يطرأ على قلب الإنسان من حقد وكراهية وحسد وأنانية وفخر فهو ناتج من البيئة الفاسدة التي عاش فيها وليس من فطرته الأصلية.

2- الإعلاء من شأن الطبيعة والإيمان بوجوب مراعاة قوانينها في تربية النشئ والتربية في نظره تأتينا إمّا من الطبيعة أو من الناس أو من الأشياء، فنمو وظائفنا وجوارحنا ذلك هو من تربية الطبيعة، وما نتعلم هو من تربية الناس وما نكتسبه بخبرتنا عن الأشياء التي نتأثر بها فذلك هو تربية الأشياء. والتربية التي تسير وفقا لقوانين الطبيعة تحترم ميول الطفل وغرائزه الفطرية ونزواته ورغباته المعقولة، لأن في الحرية عونا للطفل على تنمية شخصيته وتعويده على الاستقلال والاعتماد على النفس وتحمل الألم.

3- التأكيد على التربية السلبية حتى سن الثانية عشر تقريبا والتي تعتمد على الخبرة والممارسة العملية والاحتكاك بالأشياء أكثر من الاعتماد على التلقين اللفظي وحشو ذهن الطفل. فالتجربة وحدها هي التي يجب أن تتولى تعليمه وتأديبه، كما يحرص على عدم المبالغة في حماية الطفل والعناية به وعدم جبره على تكوين عادة معينة وعدم تلبية جميع رغباته.

4- محاولة إقامة العملية التربوية في كل مرحلة على أساس خصائص تلك المرحلة، والإيمان بأن التربية عملية مستمرة باستمرار الحياة وأنها عملية طبيعية تتماشى مع الميول والنوازع الفطرية للطفل.

5- إيمانه بأن الأهداف التي يجب أن تسعى التربية لتحقيقها والمناهج أو الخبرات التي تساعد على تحقيق هذه الأهداف والطرق والأساليب التي تتبع لتحقيق الأهداف المرسومة والمناهج والخبرات المقترحة يجب أن تكون مناسبة لمرحلة النمو التي يمر بها الطفل، ففي مرحلة الطفولة الأولى والتي تمتد من الميلاد حتى السنة الخامسة، يجب التركيز في نظره على التربية الجسمية والنفسية بحيث يكون سليم البنية ممتلئ بالحيوية والنشاط، قادر على استخدام حواسه، لا يخاف من الحيوانات والأصوات المزعجة، وفي المرحلة الثانية والممتدة من 5 إلى 12 سنة فيجب الاهتمام بتكوين الصفات الخلقية، مع التركيز على الأهداف السابقة وتنمية روح الشجاعة وتحمّل الألم والاعتماد على النفس وعدم التصنّع في أعماله، وكل هذه الصفات يجب غرسها في نفس الطفل عن طريق الخبرة والتجربة لا عن طريق الوعظ والتلقين.

وفي المرحلة الثالثة والممتدة من 12-15 سنة يبدأ التركيز على التربية العقلية من خلال برامج خاصة لتنمية قواه العقلية وتزويده ببعض المعارف النافعة في الجغرافيا والعلوم الطبيعية تجيب بعض الفنون والحرف اليدوية كالزراعة...

وفي المرحلة الرابعة والممتدة من 15 إلى 20 سنة يبدأ التركيز على تربية العاطفة والضمير الديني والذوق الاجتماعي عنده.

وهذه هي أبرز الاهداف في كل مرحلة من المراحل التي حددها "روسوا" لتربية –إميل–.

ومنه فإن من أهم المميزات للفلسفة التربوية عند "روسوا" هي الاعتماد على الخبرة والتجربة الشخصية في التعليم والتهذيب والإيمان بأن الطفل لا يتعلم إلاّ ما يكتسبه ويكتشفه بتجربته، ولا يحمل ذهنه من المعلومات إلاّ ما يقدر على حمله فعلا. والإيمان بجدوى الأعمال اليدوية والتمرينات البدنية لتقوية الروح المعنوية، وعدم الإيمان بجدول الكتاب لاسيما في مرحلة الطفولة لأن القراءة المبكرة في الكتب تضيق أفق الطفل وتجعله يردد أشياء لا معنى لها، –فإميل– لم يعرف الكتاب قبل سن 12، وحسبه فأحسن كتاب هو كتاب الدنيا، ويؤكد على عدم جدوى تدريس اللغات والتاريخ في الطفولة فهو يقول أنه قبل 15 سنة لا يمكن للطفل أن يتعلم لغتين تعلما حقيقيا، أما التاريخ فيقول أن الحوادث لا يسهل تكوينها في ذهن الطفل.

6- الإيمان بأن الأسفار والرحلات الخارجية هي خير ما يختم به الشبان دراسته المنظمة لأنها توسّع أفقه العقلي ومن تجاربه وتزيد من معرفته للشعوب المختلفة.

7- يؤمن بأن المرأة تختلف في طبيعتها عن الرجل، وبالتالي فإن وظيفتها فلي الحياة والتربية يجب أن تكون مختلفة عن وظيفة وتربية الرجل، فطبيعة المرأة تفرض عليها أن تكون في طاقة الرجل وأن تسعى باستمرار للفوز برضاه وهو من جانبه عليه احترامها وتقديرها ومن واجباتها الأساسية إسعاد زوجها ورعايته ورعاية أطفاله وحفظ بيته وشرفه وهو يشير إلى ضرورة تربية المرأة تربية نسوية صالحة نطبعها على حب الإشراف على بيتها والتفنن فيها، كما ينادي بالعمل على شغل فراغ الفتيات بأنواع من النشاط توافق ميولهن وتتماشى مع وظائفهم في الحياة كأشغال الإبرة وعمل الحياكة والطرز، وذلك عن طريق التقليد والخبرة والتمرين، وهو ينادي بعدم إكراه الفتاة على تعلم القراءة والكتابة قبل أن تقتنع، بل نترك الفتاة حتى تطلب تلك الدروس عند شعورها باحتياجها إليها.

8- ومن المبادئ الأساسية أيضا للتربية الطبيعية هي حرية الطفل في التفكير حول الطرق والأساليب التي يراها مناسبة حتى يصل إلى اكتشاف المفاهيم والحقائق المطلوبة، فالطبيعة وحدها هي التي تتولاه بالرعاية والمربي لا يتدخل إلاّ إذا ناداه الطفل.

الفلسفة الواقعية (المذهب الواقعي):

وترجع أصول هذه الفلسفة إلى "أرسطو طاليس" (383–322 ق.م)، والذي حوّل تركيز الفكر اليوناني من التفكير في عالم المثل إلى العالم الواقعي الذي نحياه، وهو يرى أن المعرفة تدرك عن طريق المقارنة والمقابلة وذلك بواسطة الحس المشترك وقوة الخيال.

وعليه تؤكد هذه الفلسفة على أن مصدر الحقائق هو العالم الحسي (عالم الواقع)، وليس الإلهام او الحدس كما هو الأمر عند المثاليون، فالواقعيون يركزون على الخبرات اليومية.

كما نجد أن الواقعية تندرج تحتها عدة اتجاهات فكرية قد تستقل عن بعضها البعض أحيانا، غير أن جميعها تؤكد على الواقعية المادية التي لاتعطي قيمة وأهمية للأفكار التي لا يمكن أن تثبت عندهم إلاّ عن طريق التجربة الحسية التي تتفق مع الوجود الحقيقي.

ومنه فإن هذه الفلسفة تركز على المعرفة المستمدة من الحواس وتعطيها كل القيمة والأهمية لأنها تكون أكثر اتفاقا مع المعرفة المستمدة من العقل، وبالتالي فإن هذه المدرسة تعتبر الحواس مصدرا ضروريا للمعرفة لأن الإدراك الحسي يعد أول خطوة نحو طلب المعرفة.

وتسمى هذه الفلسفة أيضا بالفلسفة المادية التي تركز على المادة وتعتبرها الحقيقة الأولية، وهي تتمثل في العالم المادي بما يحتويه من جبال وأنهار ونجوم، وبالتالي فالمعرفة عندهم هي عملية استكشاف للعالم المادي مصدر الحقائق، وهم يرون أن هذا العالم تسيره قوانين ثابتة، وما وظيفة الإنسان إلاّ أن يقوم باستكشاف هذه القوانين ومعرفتها.

وفي تصورهم أن الطفل يولد صفحة بيضاء، وباتصاله واحتكاكه بالواقع ينطبع في ذهنه إحساس ومشاعر، وبهذه الطريقة يتعلّم، وبإمكان الإنسان تسخير هذه المعرفة مع العقل لاكتشاف الأشياء والعلاقات القائمة بينها. كما يرون أن العقل هو حصيلة التجارب والخبرات الحسية المادية المشتقة من عالم المادة، فالعقل ونشاطه نابعان أساسا من المادة وتابعان لها وأي تغيير أو تعديل في عالم المادة يتبعه تغيير وتعديل في عالم الفكر والفلسفة الواقعية لا تقصر العلم على الكتب وحدها، وإنما ترى أن الطبيعة يجب اعتبارها على أساس أنها كتاب مفتوح تتعلم منه الكثير بما فيه القوانين التي تحكم الطبيعة.

توجهات التربية في في الذهب الواقعي:

ذكرنا سالفا أن هذه الفلسفة تندرج تحتها عدة مذاهب، وكل مذهب ينظر إلى التربية بمنظار معين، رغم الاشتراك في الهدف العام، وأبرزها:

1- المذهب الإنساني:

وهو يرى أن التربية لا تهدف فقط إلى كسب المعرفة بل تهدف أيضا إلى تحقيق النمو الجسمي والخلقي والاجتماعي للفرد، وأبرز رواد هذا المذهب "جون ملتون"، الذي يرى أن التربية هي عملية إعداد للحياة.

2- المذهب الاجتماعي:

ومن أنصار هذا المذهب نجد "فرنسيس رايليه" وهم ينظرون إلى التربية على أنها وسيلة لإعداد الفرد للحياة الاجتماعية الناجحة السعيدة المملوءة بالمسرات، وعليه يعتقد أنصار هذا المذهب أن الطبيعة الإنسانية خيرة ولهذا يجب أن تعطى الفرصة الكاملة لكي تنمو بكل طاقاتها وإمكانياتها.

3- المذهب الحسي:

ومن أنصار هذا المذهب "فرانسيس بيكون"، وهم يعلون من شأن الحواس، ومن شأن الإدراك الحسي في اكتساب المعرفة، ويؤكدون على ضرورة احترام الطبيعة.

4- المذهب التهذيبي:

وهو يقوم على مبدأين رئيسيين هما:

أ- النظرة إلى التربية على أنها عملية تهذيب لملكات الشخص العامة.

ب-اعتبار شكل العملية التعليمية أهم من المادة المتعلّمة نفسها، ومن أنصار هذا المذهب "جون لوك".

المبادئ الأساسية للفلسفة الواقعية:

على الرغم من وجود عدة توجهات للفلسفة الواقعية، إلاّ أن هذا لم يمنع من وجود مبادئ أساسية يتفق عليها جميع المؤمنين بهذه الفلسفة وهي:

- **طبيعة العالم:** عالم الواقع يشتمل على كل الحقائق وهو عالم مستقر ثابت، وبالتحليل العلمي تستطيع اكتشاف الحقائق الموجودة فيه والمستقلة عن إدراكنا لها، وهذه الحقائق هي القوانين الطبيعية التي تحكم سير الكون بأكمله.
- **طبيعة الحقيقة:** تؤمن بأن الحقائق ومصدرها موجودة في عالمنا الحسي الذي نعيشه، ونصل إليها عن طريق التحليل الموضوعي والطرق العلمية.
- **طبيعة المجتمع:** ترى أن المجتمع يسير وفق قوانين طبيعية عامة شاملة لا تتغيّر، وكلما أطاع الإنسان هذه القوانين الطبيعية وفهمها كان سير المجتمع طبيعيا وناجحا.
- **طبيعة القيم:** القيم ثابتة وهي تكمن في النظام الطبيعي والمبادئ الشاملة التي تحكمه.
- **طبيعة التربية:** تهدف التربية عندهم إلى إعداد الفرد لتقبل حظه المكتوب في هذه الدنيا، وما التربية إلاّ مساعدة الإنسان ليتكيف مع بيئته لا ليشكلها أو يؤثر فيها، وحتى يتم هذا التكيف يجب على الإنسان أن يفهم العالم الذي يعيش قيه، كما أنه من بين أهداف المدرسة هو تعليم ما هو ضروري للحياة، وأن يكون المدرّس متمكنا من مادته وخبيرا فيها.

خصائص الفلسفة الواقعية من الناحية التربوية:

- **الواقعية والمنهاج:**

المنهاج عندهم هو مجموع الحقائق التي اكتشفها العلماء من العالم الذي نعيش فيه، ويتألف من العلوم والمواد الاجتماعية، وتعطي اهتماما كبيرا للتعليم المهني.

- **الواقعية وطرق التدريس:**

يتم تقسيم الدرس إلى عناصر أساسية وتحديد المثيرات والاستجابة لكل عنصر، ومن ثم تقديمها للطلبة بطريقة تشجع على الاستجابة الصحيحة للمثير المحدد، مع مكافأة الطلبة عند الاستجابة الصحيحة، وتفضل هذه الفلسفة استخدام الآلات والوسائل التعليمية.

- **الواقعية والسلوك:**

تهتم بالسلوك الحسن في المدرسة، لذلك وضعت لكل مخالفة عقوبة مناسبة لها وعلى المدرسين اتباعها.

- **الواقعية والبناء المدرسي:**

ترى أن العملية التعليمية التعلمية يمكن أن تتم في أي مكان ما دام الفرد مستعدا للقيام بالاستجابات المرسومة للمثيرات المحدّدة، غير أنها لا تمانع من إنشاء المدارس المجهّزة، لكن حسب رأيها فهي لا تمثل شرطا لنجاح عملية التعليم، كما أن البرنامج يخضع لتخطيط الجهات العليا في المدرسة لا لميول التلاميذ.

- **الواقعية والتغيّر:**

إيمان هذه الفلسفة بالتغيّر محدود، لكنها لا تمانع بالتغيّر القائم على اكتشاف حقائق وقوانين جديدة مكملة لما سبق وغير مخالفة لها.

كما يمكن الإشارة إلى أن المدرس هو أهم عنصر في العملية التربوية ولا يسمح بمشاركة المتعلمين إلاّ في نطاق ضيق محدود، كما لا تعطى لهم فرصة في حل المشامل التي تواجههم، وإنما يسمح لهم بعرضها على المرشدين المختصين للنظر فيها.

الفلسفة البراغماتية:

تمتد جذور هذه الفلسفة إلى علماء اليونان، وبالتحديد إلى العالم والفيلسوف "هيرا قليطس" الذي آمن بالتغير المستمر، وأن الحقائق الثابتة المطلقة لا وجود لها.

وقد بدأت البراغماتية تظهر كفلسفة وكحركة مستقلة في أواخر القرن التاسع عشر، ثم تدعمت وقويت في النصف الأول من القرن العشرين، وذلك على يد ثلاثة من أعلام الفكر الأمريكي وهم "تشارلز بيرسي" و"وليام جيمس" و"جون ديوي" وقد حمل لواء هذه الفلسفة من بعدهم كل من "وليام كلباتريك"

و"جون تشالدز" و"جورج كاونتس" وكان "بيرسي" أول من استخدم كلمة –براغماتية– عام 1778، وهي مشتقة من الكلمة الاغريقية –براجما– ومعناها العمل، وقد أطلق على هذه الفلسفة ألقاب عديدة مثل النفعية لأنها ترى أن الأعمال التي يقوم بها الفرد تستمد قيمتها من مدى نفعها له ولمجتمعه.

ومن أهم مميزات هذه الفلسفة إيمانها بالتطور المستمر في جميع مظاهر الحياة، وإيمانها بوحدة العالم وبوحدة الشخصية الانسانية وباحترام الإنسان وبقيمة الذكاء البشري في إصلاح المجتمع وتقدمه، وتقديسهم للعمل، وتأكيدهم للخبرة والتجربة كمصدر للمعرفة، ونظرا لكل هذه المميزات سميت البراغماتية بأسماء متعددة يطابق كل اسم منها ميزة من المميزات السابقة.

وتؤكد هذه الفلسفة على أن الفكرة تعد صوابا متى كانت النتائج المترتبة عليها نافعة مفيدة في حياة الإنسان والأوجب اعتبارها باطلة، وعليه فإن الأشياء تحكم بقيمة الغايات التي تحققها وبمقدار النفع الذي تجلبه للفرد والمجتمع، وهو الأمر الذي اتفق عليه أنصار هذه الفلسفة على أساس أن الفكرة لا تكون صوابا ما لم تتحول إلى سلوك ناجح في حياة الإنسان.

ويعدّ "جون ديوي" المفسّر للفلسفة البراغماتية والواضع للكثير من أصولها وتطبيقاتها في التربية، ولذلك فهي ترتبط به أكثر مما ترتبط بأي مفكّر تربوي.

وتهتم هذه الفلسفة بالمحافظة على القديم مع السماح بإضافة الجديد إليه على أن يكون مناسبا له ومتوافقا معه، على أن تكون فيإضافة هذا الجديد فائدة ملموسة للبناء كلّه.

وسميت هذه الفلسفة بالتجريبية أيضا لأنها اعتبرت التجربة أساس الوصول إلى الحقيقة، وليس هناك حقائق مطلقة إلاّ ما ثبت منها بالتجربة.

المبادئ الأساسية للفلسفة البراغماتية:

- **طبيعة العالم:** حسب هذه الفلسفة هو عالم نسبي غير ثابت، وهو في حالة تغير مستمر، وهو خاضع للتجربة والبحث العلمي، وبالتالي فهي تتفق مع النظرة الطبيعية.
- **طبيعة الحقيقة:** هي أيضا غير مطلقة، بل هي متغيرة.
- **طبيعة الإنسان:** مخلوق طبيعي ديناميكي متكامل جسميا وعقليا وروحيا، وهو مسؤول عن نفسه وعن بيئته من خلال تفاعله معها.
- **طبيعة المجتمع:** المجتمع متغير يضع ثقته في قدرة الإنسان على المساهمة الفعالة في بناء وتطوير المجتمع وحل المشاكل الاجتماعية.

- **طبيعة القيم:** لا تؤمن هذه الفلسفة بوجود قوانين أخلاقية مطلقة، وأحكامنا حول القيم قابلة للتغير، والأحكام التي نصدرها عن الحقائق تعتمد على نتيجة تطبيقها وما حققته من نتائج عملية نقعية لصاحبها.
- **طبيعة التربية:** التربية هي الحياة نفسها تستمر باستمرار حياة الإنسان ولا تتوقف عند أية مرحلة لأن المجتمع دائم التغير والتطور والنمو، وتبنى التربية عندهم على أساس ديمقراطي، بحيث أن يساهم كل فرد في تطوير وحل المشكلات التي تهمه.

الخصائص التربوية للفلسفة البراغماتية:

- **البراغماتية والمنهاج:** مرن قابل للتغيّر، وهو يبنى على أساس إعادة بناء وتنظيم الخبرات الجديدة التي تضاف إلى الخبرات السابقة والتي من شأنها أن تساعد في القدرة على توجيه الخبرات اللاحقة، كما تشجع الطلبة على المساهمة في النشاطات المصاحبة للمنهاج لأنها تشبع فيهم ميولا ودوافع مهمة لنموهم المتكامل، كما تهتم البراغماتية بالكشف عن القدرات الكامنة في نفس الطفل والعمل على توجيه دوافعه وتنمية قدراته والإيمان بالفرد وقدرته على التقدم، وبالتالي فالمنهاج لا يبنى على أساس الحفظ والتكرار وملأ عقول التلاميذ بالحقائق والمعلومات الثابتة المطلقة.
- **البراغماتية وطرق التدريس:** تركز على مبدأ التعلم بالعمل، وترى أن مهمة المدرس ليست مجرد تدريس الأطفال، بل تكوين الحياة الاجتماعية الصحيحة عن طريق اختيار الخبرات التي سوف تقدم للطفل ليتفاعل معها لتساعده في اتباع أسلم الطرق لمواجهة مشاكله وحلها، فالمدرس يعد مرشدا وموجها ويستفاد من خبراته في تنظيم وتجديد خبرات التلاميذ، وعليه أن يتبع الأسلوب الديمقراطي في معاملته للتلاميذ، وأن يتصف بالمرونة وبإتباع أساليب إشراك التلاميذ في العمل، يشاركهم في حل مشاكلهم ويعرفهم بأساليب الكشف عن الحقائق، وعليه تركز البراغماتية على تنويع أساليب التعليم والابتعاد عن التلقين والاستظهار وتخزين المعلومات، بل تركز على إتباع أساليب التجريب والأسلوب العلمي في حل المشكلات.
- **البراغماتية والسلوك:** النظام يجب أن ينبع من التلميذ نفسه ومن شعوره بالمسؤولية الملقاة عليه، وإذا ما خالف أحد التلاميذ النظام فغن على المدرس أن يعالج هذا الأمر بالحسنى دون اللجوء إلى الإحالة المدرسية، أو العقاب البدني، أما إذا كان لابد من اللجوء إلى العقاب فإن ذلك يتم عن طريق إحضار أولياء الأمور ومقابلة الطالب لهم مشكلاته وإرشاده.
- **البراغماتية والنشاطات اللاصفية:** توليها أهمية كبيرة، وتشجع المتعلمين على المشاركة فيها لأنها تشبع فيهم ميولا ودوافع عديدة ضرورية لنموهم المتكانل.

- **البراغماتية والبناء المدرسي:** تركز على ضرورة توفير الجو المناسب لممارسة الطالب لنشاطه الذاتي وذلك بتجهيز البناء المدرسي بكافة وسائل الراحة الممكنة والتي من شأنها أن تجعل المدرسة بيئة محببة إلى نفوس التلاميذ.
- **البراغماتية والتغير:** تؤمن بالتغير المستمر، وأنه يستحيل على الإنسان أن يتوصل إلى حقائق ثابتة لا تتغير، فالوجود في تغيّر دائم، وكل شيء في هذا العالم نسبي غير مطلق.

مزايا الفلسفة البراغماتية:

- إن أهداف التربية ومناهجها وطرقها مليئة بمظاهر القوة والجدّ، وخير دليل على ذلك رفضها لأساليب التربية القديمة القائمة على أساس حشو الذهن بالمعلومات، وإعلاؤها من شأن الخبرة العملية والنشاط الذاتي للتلميذ.
- دعوتها إلى وجوب ربط المدرسة بالحياة العامة وإلى وجوب التعاون بين البيت والمدرسة.

ثانيا: الأسس التاريخية

1/ أهمية دراسة تاريخ التربية

ينظر إلى تاريخ التربية عادة على أنه معالجة للتربية من منظورها التاريخي، وهذا يعني أن تاريخ التربية موضوع مستقل بكيانه، فهو يتعلق بالتاريخ لقطاع واحد من قطاعات الثقافة الإنسانية العريضة هو قطاع التربية.

وينظر إلى تاريخ التربية من ناحية أخرى على أنه جزء من التاريخ العام شأنه في ذلك شأن التاريخ السياسي أو الاقتصادي، بل أنه كثيراً ما يعالج في هذه الحالة على أنه جزء من التاريخ الثقافي والفكري للشعوب، وبصرف النظر عن اختلاف النظرة إلى تاريخ التربية، فإنه يمكن القول ببساطة بأنه تاريخ النظام التربوي.

فتاريخ التربية باختصار هو "دراسة الأحداث والأشخاص والعلاقات الزمانية والمكانية، ومحاولة تفسيرها تفسيراً ذي معنى يربط بينها وبين علاقتها".

إذن تاريخ التربية يهتم بإبراز الحركات الاجتماعية وتطورها في كل مرحلة من مراحل التاريخ وإبراز تلك الحركة على مختلف القوى الثقافية، المؤثرة في شخصية المجتمع.

وتبرز أهمية دراسة تاريخ التربية الجوانب التالية:

1- **الأهمية الأكاديمية والعلمية:** من حيث أن العلم قيم بذاته.

2- **الأهمية الحضارية:** التي تأتي من دراسة حضارات الشعوب الأخرى، والتعرف على جوانبها الاقتصادية والسياسية قال تعالي: ﴿**وجعلناكم شعوب وقبائل لتعارفوا**﴾.

3- **الأهمية النفعية:** والتي تتمثل في الدروس المستخلصة من دراسة التاريخ والاستفادة من تجارب الآخرين وثقافتهم بمعنى آخر ضرورة الإفادة من دروس الماضي بناء الحاضر والمستقبل.

4- **الأهمية المهنية:** حيث تمثل أهميتها لمعلمي المستقبل، حيث أن مهارات المعلمين تتطور من خلال معرفتهم لتطور الممارسات التربوية عبر العصور المختلفة.

5- توضيح مدى اختلاف الأسس والفلسفات والاتجاهات التي قامت عليها الأنظمة التربوية المختلفة.

وعند دراسة تاريخ التربية تبرز اتجاهات تتعلق بالشكل وأخرى بالمضمون، أمّا فيما يتعلق بالشكل فهناك منهجان معروفان:

أ- **المنهج الأفقي أو العرضي:** ويقوم على أساس الدراسة المقطعية للتربية في المجتمعات المختلفة عبر العصور، حيث تقسم العصور فيه إلى قديمة، وسطى، حديثة، ودراسة أفكار العلماء والفلاسفة.

ب- **المنهج الطولي أو الرأسي:** وفيه يتم دراسة التربية من الناحية التاريخية في صورة مشكلات أو موضوعات، بحيث تعالج كل مشكلة أو موضوع عبر العصور المختلفة مثل: مشكلة التربية والاقتصاد، التربية وهجرة العقول.

أما من ناحية المضمون فهناك أكثر من طريقة أو أسلوب منها:

أ- **السرد:** وتتمثل في سرد الأحداث سرداً زمانيا أو مكانيا دون التعرض لتفسيرها أو تحليلها.

ب- **التحليل:** أي تحليل العلاقات الزمانية والمكانية للأحداث والظواهر التربوية، بحيث يصبح لهذه العلاقات معنى وتفسيراً ويلعب الباحث دوراً هاماً في التفسير الذي يضفيه على هذه العلاقات.

الفلسفة الإسلامية:

لقد تأثرت الفلسفة الإسلامية في البداية بالفلسفة اليونانية وأعلامها أمثال أرسطو وأفلاطون وهذا لا يعني اقتصارها على الاقتباس اليوناني، وإنما كانت لها أصالتها وطابعها المتميز، مما جعلها تؤثر على الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى لأنها كانت واسعة الأفق وقادرة على التجديد والابتكار، كما أثرت على الفلسفة الأوربية الحديثة عن طريق ما ترجم منها إلى اللغة اللاتينية.

وقد أنجب العالم الإسلامي مجموعة من العلماء والفلاسفة والمفكرين الذين كان لهم أكبر الأثر في تطور الفكر الأوروبي كالغزالي، الفرابي وابن العربي في الفلسفة، جابر بن حيان في الكيمياء، وابن خلدون في التاريخ وعلم الاجتماع وغيرهم.

أهداف التربية الإسلامية:

مهما اختلف المفكرون في وجهات نظرهم حول أهداف التربية، إلاّ أنهم جميعا يتفقون على أن الهدف الأسمى للتربية الإسلامية هو إعداد الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه، فإذا ما تمّت هذه الصورة في أيّ إنسان وصل إلى درجة الكمال في التربية، وهكذا يعتبر بلوغ الكمال الإنساني هدفا رئيسيا للتربية الإسلامية، ومع أن الكمال لله وحده، فإن الإنسان لابدّ أن يتصف بالكمال إلى أقصى حد ممكن باعتباره خليفة الله في الأرض.

وانطلاقا من الهدف الأسمى للتربية الإسلامية هناك عدة أهداف منها:

1- **تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة:** وتشمل الأعمال الخيرة التي يقوم بها الإنسان في دنياه والتي ينال بها رضا خالقه، فيحقق بذلك نجاحه في الآخرة، ومنه تحقيق سعادة الدارين.
2- **تنشئة الإنسان الذي يعبد الله ويخشاه:** لذلك جاء في قوله تعالى: "**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**"، وطريقة عبادة الله وخشيته إنما تكون بالعلم "**إنما يخشى الله عباده العلماء**"، وما دام العلم هو سبيل التقوى وخشية الله، فقد حثّ الله على طلب العلم ورفع مكانة أهله وفضلهم على غيرهم.
3- **تقوية الروابط الإسلامية بين المسلمين:** وذلك بدعم تضامنهم الإسلامي وخدمة قضاياهم، ويتم ذلك عن طريق ما تقوم به التربية الإسلامية من توحيد للأفكار والاتجاهات والقيم بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها وبالتالي تكون عاملا فعالا في تماسكهم ووحدتهم وجمع شملهم وتكتّل جهودهم.

أسس التربية الإسلامية:

هذه الأسس مأخوذة من القرآن والسنة وتتمثل فيما يلي:

1- **التربية الإسلامية تربية تكاملية:** بمعنى أنها تنظر للإنسان نظرة متكاملة تشمل جوانب شخصيته الجسمية، العقلية، النفسية... وهي تخدم بعضها البعض.
2- **التربية الإسلامية تربية سلوكية عملية:** أي أنها تجمع بين القول والعمل، وأن تتطابق الأقوال مع الأفعال.
3- **التربية الإسلامية تربية فردية واجتماعية معا:** تعمل التربية الإسلامية وتسعى لتربية الإنسان فرديا واجتماعيا، فتربي الفرد على الفضيلة ليكون مصدر خير لنفسه وللآخرين، وتجرده من الأنانية، إذ أنها تؤكد على الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد وتوحي باحترام الجار وغيرها من الأمور التي توطد علاقة الفرد بالآخرين.

4- **التربية الإسلامية تربية لضمير الإنسان:** وذلك حتى تجعل من هذا الضمير حيا يقظا يراقب ويوازن بين الأمور، كون أن الضمير هو الوجّه والرّقيب على الأعمال والتصرّفات، به يحس ويدرك الخطأ من الصواب، كما أنّ يقظة الضمير تدرك أن الله رقيب عن كل شيء، وذلك يحول دون خضوع الإنسان لنزواته وشهواته.

5- **التربية الإسلامية موجّهة نحو الخير:** إن تربية الفرد في الإسلام موجّهة نحو الخير للفرد والمجتمع، فهي تنادي بالخلق الفاضل بجميع أشكاله، مقابل اجتناب الشر.

6- **التربية الإسلامية تربية لفطرة الإنسان وغرائزه:** إن الإنسان يولد على الفطرة وهي الإسلام، ولو ترك المولود وشأنه لنشأ يعبد الله ويسبحه بالغة التي يفهمها ويتكلم بها لذلك جاء في قوله تعالى: "**وما من شيء ألا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**"، غير أن التربية والتنشئة الاجتماعية قد تحيد بالفرد عن فطرة الإسلام، كما تحاول التربية الإسلامية على تغليب عقل الإنسان عن هواه وغرائزه التي هي امتحان لضميره ومدى قوّة إيمانه.

7- **التربية الإسلامية تربية مستمرة:** فهي لا تقف عند مرحلة معينة، كما أنها متجددة باستمرار ومسايرة للتطور وهي صالحة لكل زمان ومكان، كما أنها تضع لكل مرحلة من مراحل العمر تعاليمها الخاصة بما يتمشى وطبيعة البشر، ومن جهة أخرى لأنها تنبع من كتاب أحكمت آياته.

8- **التربية الإسلامية تربية متدرجة:** إن تعاليم الإسلام لم تأت دفعة واحدة، ولا حتى القرآن الكريم نزل في مرّة وإنما اكتمل في 23 سنة، وذلك حتى تتهيأ النفوس وتستوعب قدر من التعاليم، وبالتالي فإن تدرج الإسلام في تعاليمه كان بقصد مناسبته لعقول البشر وتقبلهم هذه التعاليم.

9- **التربية الإسلامية تربية محافظة مجدّدة:** فهي تحافظ على المبادئ والقيم والتقاليد السماوية التي جاءت بها، كونها ثابتة نابعة من القرآن والسنة تتناقل من السلف إلى الخلف بغية ترسيخها والمحافظة عليها، ومن جهة ثانية فهي مجددة والتجديد يكمن في أفكار البشر واكتشافاتهم، ويظهر فيما بعد أن الدين الإسلامي قد تناول تلك الأمور الجديدة بالنسبة للكثيرين، وما زالت الأبحاث جارية فيما نادت به التربية الإسلامية.

10- **التربية الاسلامية تربية إنسانية:** بمعنى أنها لا تفرق بين الناس إلا بالتقوى.

مبادئ التربية الإسلامية:

- **طبيعة العالم:** الله سبحانه وتعالى هو خالق العالم ومصدره، كما أن هذا العالم غير ثابت قابل للتغير والتبدّل.

- **طبيعة الإنسان:** قوة مبدعة، وهو وحدة متكاملة فلا انفصال بين أجزائها.
- **طبيعة الحقيقة:** مصدر الحقيقة هو الله سبحانه وتعالى عن طريق رسوله الكريم، إلاّ أن الإسلام يشجع استخدام العقل للوصول إلى الحقيقة، وكذا ملاحظة وتدبّر ما هو واقع ملموس في هذا الكون الواسع.

الخصائص التربوية للتربية الإسلامية:

المواد الدراسية والمراحل التعليمية:

لم يكن هناك منهج محدد وشامل بالدقة الموجودة في وقتنا الحاضر، بل للطالب حرية اختيار المادة التي يرغب بدراستها وله حرية التنقل من مدرسة لأخرى لأخذ العلم من أكبر عدد من العلماء وبصفة عامة كان تقسيم المراحل على النحو التالي:

1- **المرحلة الأولى:** تبدأ من سن السابعة وتستمر ثلاث أو أربع سنوات وكان التعليم يتم في الكتّاب، وتشبه هذه المرحلة مرحلة التعليم الابتدائي الحالي، حيث يتعلم فيها الحروف، مبادئ الخط، قراءة القرآن، وحفظ السور القصيرة، ومبادئ النحو والصرف والحساب وبعض الشعر.
2- **المرحلة الثانية:** هنا يكون التعليم أوسع وأشمل من قبل، حيث يبدأ بقراءة الكتب السهلة المختصرة، ثم يتم الانتقال إلى قراءة الكتب المطولة المتعمقة والتي تناسب قدرات المتعلّم، يدرس أيضا تفسير القرآن والحديث، وبعض الفلسفة والتاريخ والجغرافيا.
3- **المرحلة الثالثة:** ويتم التعليم هنا بالمدارس المجهّزة، فيتعلمون فيها العلوم الدينية واللسانية والعقلية، والعلوم المهنية، وفيها يبدأ المتعلم بملاقاة الشيوخ والعلماء لأخذ العلم منهم، وهي تشبه مرحلة الدراسات العليا في هذا الوقت.

طرق التدريس:

تم استخدام طرق متنوعة، وذلك حسب نوعية المادة المدرّسة:

1- حلقات التدريس: ويجلس المدرس على كرسي أو مكان مرتفع وسط الحلقة حتى يسهل عليه ملاحظة الجميع ، ويلقي درسه شفويا، ويناقشهم في موضوع الدرس، ويوضّح ويفسّر ويتم ذلك في المساجد عادة، وكان لكل مدرس مكان خاص به.

2- طريقة القراءة: يقرأ المعلم من كتاب، والطلاب يكتبون، أو يقرأ طالب من المجموعة، ودور المعلم تصحيح الأخطاء وإرشاد الطلاب إلى النطق السليم.

3- طريقة الحوار: ويشترك فيها كثير من العلماء والشيوخ وتطرح فكرة أو قضية معينة ويثار حولها النقاش وتبادل الأفكار من أجل الوصول إلى حقيقة الحقائق، وكان المعلمون يشجعون طلابهم

على هذه الطريقة ويلزمونهم على التمرن عليها لما لها من فوائد في تقوية الحجة وإطلاق اللسان وجودة التعبير وحرية الفكر والثقة بالنفس.

4- **طريقة الإملاء:** وكانت تستخدم بشكل واسع في المساجد، فكان إلقاء الدروس يتم فقرة بفقرة حتي يتمكن كل الطلاب من الكتابة، ويقوم المعلم بالشرح والتوضيح والتفسير، وكان المعلم يطلب من المتعلمين إعادة قراءة ما كتبوه ليصحح ما وقعوا فيه من أخطاء.

5- **الطريقة الاستقرائية:** وتهدف إلى تمجيه المتعلم إلى معرفة الحقائق، وذلك بالبحث عن الجزئيات قصد التوصل إلى القواعد العامة.

6- **الطريقة القياسية:** وهي عكس الاستقرائية، بحيث تذكر القاعدة العامة ثم يتم التوصل إلى الجزئيات قصد التدريب على التحليل والتركيب.

المدرّس: لقد حظي المدرس في هذه الفلسفة بالتقديس والإجلال، ولقد اشترط أن يكون متديّنا وصادقا في عمله، ويقصد بتعليمه مرضاة الله تعالى قبل أي شيء آخر.

ثالثا: الأسس الاجتماعية للتربية

تمهيد:

التربية نظام اجتماعي لها جميع خصائص النظم الاجتماعية وتتكون بنيتها من نفس العناصر التي تتكون منها النظم الاجتماعية ولذلك فإن دراسات علم الاجتماع تستفيد منها التربية بشكل مباشر وهذه علاقة واضحة ومباشرة بين التربية وعلم الاجتماع كما تستمد التربية أسسها ومناهجها وأهدافها من المجتمع ومن ثقافته لأن عمليات التنشئة الاجتماعية التي تتولاها التربية إنما تحقق عضوية الجيل الجديد في المجتمع عن طريق تعليمه لغة الجماعة وفكرها وتقاليدها وعاداتها وعرفها وقيمها ومهاراتها فالثقافة هي الوعاء الذي تستمد منه التربية أصولها ومناهجها وأهدافها المختلفة.

ويمكن فهم الأسس أو الأصول الاجتماعية للتربية من خلال الأوضاع الاجتماعية والأنماط السيكولوجية السائدة في التربية المجتمعية.

1/ مفهوم الأسس الاجتماعية

هي القوى الاجتماعية المؤثرة في وضع المنهج وتنفيذه وتتمثل في التراث الثقافي للمجتمع والقيم والمبادئ التي تسوده والحاجات والمشكلات التي يهدف إلى حلها، والأهداف التي يحرص على تحقيقها. وهذه القوى تشكل ملامح الفلسفة الاجتماعية أو النظام الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات وعلى ضوئها تحدد فلسفة التربية التي بدورها تحدد محتوى المنهج واستراتيجيات التدريس والوسائل والأنشطة التي تعمل كلها في إطار متسق لتحقيق الأهداف الاجتماعية المنشودة.

فدور المنهج هو أن يعكس مقومات الفلسفة الاجتماعية فيحولها ويترجمها إلى سلوك يمارسه التلاميذ بما يتفق مع متطلبات الحياة الاجتماعية بجوانبها المختلفة. ولما كانت المدرسة بطبيعة نشأتها هي مؤسسة اجتماعية أقامها المجتمع من أجل استمراره وإعداد أفراده للقيام بمسؤولياتهم فيه، فمن الطبيعي أنه يتأثر بالمجتمع والظروف المحيطة به.

ومعنى ذلك أن القوى الاجتماعية التي يعكسها منهج ما في مدرسة ما إنما هي تعبير عن المجتمع في مرحلة ما، ولذلك تختلف المناهج من حيث الشكل والمنطق من مجتمع لآخر تبعا لتباين واختلاف تلك القوى.

1- تمكين المتعلم العربي من فهم ذاته الاجتماعية وفهم وطنه العربي وديناميكية تطوره، ومشاكله وتحدياته الاجتماعية بموضوعية وواقعية ونظرة تفاؤلية، وكذا تمكين المتعلم العربي من فهم أسرته وبيئته المحلية، مع تنمية القدرة لفهم الحضارات والمجتمعات الأخرى في العالم، ومع تأكيد الإحساس بالانتماء للآخرين وقبول اختلافهم وخصوصياتهم الثقافية والتعامل الإيجابي معهم.
2- تأكيد بناء قدرات ومهارات اجتماعية من أهمها:
أ- تنمية الاتجاه الاجتماعي نحو حب العمل والإخلاص فيه.
ب-خلق الحافز لقبول التغير والتجديد الاجتماعي في العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية التي لم تعد تتلاءم مع حياة العصر الحديث أو التي تعيق النمو والتنمية الاجتماعية والاقتصادية.
ت-تنمية وتأكيد الاتجاه الاجتماعي لقبول المساواة بين الرجل والمرأة ومشاركتها في الحياة الاجتماعية، في إطار من ثوابت وقيم الثقافة العربية الإسلامية الصحيحة، ونبذ النظرة إلى المرأة على أنها أقل مكانة من الرجل.
3- تطوير إستراتيجية التربية العربية بما يحقق تأكيد المبادئ التالية:
أ- تكوين إنسان معتز بعروبته وإسلامه ومسيحيته من أبناء الأمة العربية.
ب-تكوين إنسان معتز بكرامته وذاته الفردية والاجتماعية.
ت-تكوين إنسان يقبل الاختلاف الاجتماعي والثقافي ويحترم الآخرين في أسرته ومجتمعه والعالم، وله القدرة على التعايش والتعامل معهم بروح إيجابية بناءة.

والمدرسة مؤسسة اجتماعية أساسيا تمثل جزءا هاما من المجتمع الذي تعيش فيه، تتأثر به، مستجيبة للمطالب التي تفرضها عليها قيم المجتمع، تقوم بإعداد النشئ وتشكلهم للعيش في المجتمع والمساهمة في بنائه.

ولقد أنشأ المجتمع المدرسة لكي تعد الجيل الصغير للاشتراك في المناشط الإنسانية التي تسود حياة الجماعة وللتكيف معها، وللإحساس بالأمن والطمأنينة في رحابها، ولذلك فشخصية المدرسة تتحد أبعادها بأبعاد المجتمع الذي تخدمه.

ولا يقتصر عمل المدرسة على إعداد الجيل الصغير للاشتراك في حياة الجماعة والتكيف معها فحسب ولكن هذا الإعداد يتضمن أيضا القدرة على تجديد هذه الحياة وإعطائها نبضا جديدا يبعث فيها الحركة والنمو.

وعل هذا الأساس تستجيب المدرسة لمطالب التغير الاجتماعي وتحدياته في المجتمع الذي تعيش فيه، وتعمل في الوقت ذاته على أن تكون رائدة لهذا التغير الاجتماعي وموجهة إليه عن طريق هذا الجيل الصغير الذي تعده وتشكله.

ثانيا: تعريف المجتمع

لقد اختلفت تعاريف المجتمع باختلاف العلماء الذين تناولوا هذا الموضوع واختلفت كذلك لاختلاف المفاهيم الثقافية لكل جماعة أو اختلاف العقيدة أو المبدأ أو الهدف الذي يسعون من أجل تحقيقه.

ويعرف المجتمع (society) بأنه جماعة من الناس يعيشون معا ويعملون سويا مدة طويلة بصفة منتظمة وتربط بينهم علاقات اجتماعية ولهم أهداف وموارد مشتركة يستخدمونها في إشباع حاجاتهم في إطار نظام اقتصادي ونظم اجتماعية تساعد على إشباع احتياجات المجتمع وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار الدولة مجتمعا عاما.

وهناك تعريفات متعددة ومختلفة للمجتمع نذكر منها ما يلي:

1- هاري جونسون (H.Johnson)

"المجتمع: مجموعة من الناس تتميز بالخصائص الأربعة التالية: الثقافة الجامعة، والاستقلال، والتكاثر عن طريق الجنس، وإقليم الأرض المحدد".

2- جينز بيرج (Gins berg)

"تعبير عن كل صلة للإنسان بالإنسان، سواء أكانت هذهالصلة مباشرة أو غير مباشرة، منظمة أم غير منظمة، عن وعي أو بدون وصي، تتميز بالتعاون أم تتميز بالعداء".

3- يوبانك (E.Eubank)

يعرف المجتمع بأنه عبارة عن "مجموعة من الناس عاشوا وعملوا لفترة من الزمن بلغت من الطول ما مكنهم من تنظيم أنفسهم، واعتبار أنفسهم وحدة اجتماعية لها حدودها المعروفة"

4- مارشال جونز (M.Jones)

"يطلق هذا الاصطلاح على نوع معين من الجموع، يتميز بالاكتفاء الذاتي، فالجمع الذي يستطيع تزويد أفراده بكل احتياجاته دون الاستعانة من خارجه يعتبر مجتمعا"

وهكذا نستنتج بأن المجتمع هو: "مجموعة من الناس لهم ثقافة مشتركة متميزة، تحتل حيزا إقليميا محددا، وتتمتع بشعور الوحدة، وتنظر إلى ذاتها ككيان متميز، ويشمل هذا الكيان بناء من أدوار وسلوك محدد تفرضه المعايير الاجتماعية.

إذن فالمجتمع هو خلاصة ذلك التفاعل من نظم ومؤسسات ومعارف وقيم وأدوات ومخترعات.

ثالثا: عناصر المجتمع وخصائصه

إذا حللنا البناء الاجتماعي العام لأي مجتمع نجده يتكون من العناصر الأساسية التالية:

1- البيئة الطبيعية: وهي الإطار البيئي والجغرافي الذي يحدد المجتمع، أي مساحة الأرض التي يشغلها هؤلاء الأفراد، وتشمل كل ما في البيئة من أوضاع طبيعية من مناخ (حرارة، رياح، أمطار، تربة)، وتضاريس (جبال، سهول، وديان، سواحل وصحاري) وما نحويه من معادن وثروات طبيعية وما لكل ذلك من تأثير على حياة السكان وأنشطتهم الاقتصادية والاجتماعية المختلفة.
2- البيئة الاجتماعية: وهي المناخ الذي يعيش في ظله أفراد المجتمع، (وتشمل المؤسسات الاجتماعية المختلفة، والجماعات، والتجمعات، والهيئات، والمشاريع المختلفة).
3- السكان: وهم مجموعة الأفراد الذين يشكلون الطاقة البشرية في المجتمع.
4- العلاقات الاجتماعية: وهي العمليات والتفاعلات الناجمة عن تفاعل الأفراد في البيئتين الطبيعية والاجتماعية.
5- النظم والمؤسسات الاجتماعية: وهي مجموعة الأجهزة التي تقوم بالنشاط الاجتماعي، وتحقيق الوظائف الاجتماعية.

أما خصائص المجتمع فتكون على النحو التالي:

1- إنه كيان عضوي في تطور مستمر.
2- إنه وحدة كلية اجتماعية واقتصادية مترابطة أساسها نشاط أفراد المجتمع وتفاعلاتهم.

3- أنه يتسم بخاصية تبادل أعضائه للمعاني والأفكار وأنماط السلوك والأدوات التي يتعاملون معها.
4- أنه يقوم على جهد كل أفراده ووحداته الاجتماعية الذين يرتبطون بأعمال مشتركة تحقق لهم الوجود الاجتماعي.
5- أنه قائم على تنظيم جهود أفراده في تنظيمات اجتماعية واقتصادية وتحديد الأدوار والمسؤوليات.
6- إن تماسكه يقوم على ما بين أفراده من مصالح مشتركة، وانتمائهم إلى مجتمع واحد، والعمل من أجل مصلحته ككل والدفاع عنه.

رابعا: الفرد والتربية

التربية ضرورة فردية من جهة وضرورة اجتماعية من جهة أخرى، فلا يستطيع الفرد الاستغناء عنها ولا المجتمع أيضا وكلما يرقى الإنسان ويتحضر ازدادت حاجته إلى التربية وأصبحت شيئا ضروريا لا كماليا. فالتربية تحقق للفرد عملية الانتماء الاجتماعي وتشبه حاجاته إلى التعامل مع أفراد المجتمع والمجتمعات الأخرى، وتحقق له الاستقرار النفسي حيث يشعر بالانتماء والانضمام إلى جماعة تقبله لاتفاقه مع أعضائها في كثير من القيم والاتجاهات مع غيرها مما تكسبه الأفراد الآخرون، والوليد البشري يولد عاجزا تماما عن اشباع اي حاجة من حاجاته الأساسية أو توفير الأمن والحماية لنفسه.

فالفرد يحتاج إلى التربية لأنه يولد مختلفا من النضج والنمو ويظل فترة طويلة لا يملك ما يعينه على رعاية نفسه والتفاعل مع غيره أي أن الوليد يحتاج إلى كل عناية ورعاية جسمية ونفسية واجتماعية من جانب الكبار المحيطين به والذين يطبعونه على حياة الجماعة. ومما يزيد من حاجة الفرد إلى التربية أن البيئة الانسانية والمادية تتعاقد مع الزمن وتشبع عناصرها ومكوناتها.

فرصيد الجنس البشري من المهارات والأفكار جعل الفرد في حاجة إلى كثير من الخبرات التي تعينه على التكيف مع البيئة والتوافق مع ظروف الحياة المتغيرة المتجددة. وهكذا تتضح ضرورة التربية وأهميتها بالنسبة للفرد وذلك للأسباب التالية:

1- **العلم لا ينقل من جيل لآخر بالوراثة:** وهذا سبب واضح بين حديثي ولادة الأفراد على اختلاف مستويات آبائهم الثقافية وعقولهم الخالية من أي أثر للمعلومات والمعارف، وبمعنى آخر فإن الثقافة ليست موروثة بيولوجيا كلون العين وطبيعة الشعر والقدرات الخاصة التي يرثها الأبناء عن الآباء دون عناء وإنما هي ميراث اجتماعي كافحت الأجيال البشرية المتلاحقة لاكتسابه وحفظه عبر السنين بالجهد والعرق. وإذا ما أراد جيل الكبار نقل تراثهم الثقافي إلى الصغار فلابد له من عملية تربية تساعد في هذا الأمر. ومن هنا تبرز أهمية التربية للفرد وحاجتهم إليها. وقد أكدت أقوال العلماء والمربين الكثيرة هذه الأهمية التي تتمتع بها التربية وحاجة الأفراد إليها، حيث يقول

الإمام الغزالي: "لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أي أنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد الهمجية إلى حد الإنسانية".

2- **الطفل البشري مخلوق كثير الاتكال قبل التكيف:** يمتاز الوليد البشري بأنه مخلوق ضعيف كثير الاعتماد على أفراد من بني جنسه بمقارنته مع صغار الحيوانات الأخرى فهو أطول الكائنات الحية طفولة، وهذا راجع إلى أنه يولد قبل أن يتم نضجه واكتمال قدرته على مواجهة الحياة كالحيوانات الأخرى فتتلقاه البيئة وتساعده في تحقيق النضج، وضعف الوليد البشري ترافقه خاصية أخرى من مرونته أو قدرته على التكيف السريع كما نما وترعرع بالمقارنة مع الحيوانات الأخرى التي تقف عند حد لا تتجاوزه. فهو بهذا يحتاج إلى كثير من الرعاية والتوجيه حتى يعتمد على نفسه ويسهم في تحسين مجتمعه، ومدرسته هي التي تقوم بهذه المهمة الصعبة.

3- **البيئة البشرية كثيرة التعقيد والتغيير:** يولد الطفل البشري في بيئة معقدة ماديا واجتماعيا وروحانيا يصعب عليه التكيف معها كا ارتقى المجتمع البشري وازدادت البيئة تعقيدا كما ازدادت حاجة الفرد بالتالي إلى التربية لتبسيط البيئة وحل مشكلاتها والتكيف معها أو تغييرها (البيئة). مما يزيد في حاجة الفرد إلى التربية، ولذا فواجب المدرس هو إعداد الناشئين لعالم اليوم والغد معا عن طريق تعويدهم على المرونة في أفكارهم وعملهم واحتياجاتهم ليكونوا قادرين على تكييف أنفسهم تبعا للتغير الذي يحدث من حولهم في شتى نواحي الحياة. وبمعنى آخر فواجب على المعلمين أن يعوّدوا الناشئين على التفكير الحر والمستقل وحل مشكلاتهم بأنفسهم ومواجهة المواقف التي يتعرضون لها. وقد قال الإمام علي _رضي الله عنه_ بهذا المعنى: "لا تعوّدوا بنيكم على أخلاقكم فإنهم مخلوقون في زمان غير زمانكم"

خامسا: المجتمع والتربية

لقد اختلف المفكرون والفلاسفة في تحديد علاقة التربية بالمجتمع، فمنهم من رأى (أرسطو) بأن التربية هي الوسيلة الوحيدة لاستقرار المجتمع وأنظمته وقيمه وأوضاعه الاجتماعية بينما رأى فريق آخر (أفلاطون) أن التربية وسيلة لإصلاح المجتمع وتحسينه وتقدمه وتطوره.

فلو تأملنا في تاريخ الشعوب لعلمنا كم التربية لعبت دورا هاما في حياتها، مثل الحضارة البابلية والمصرية والصينية والفينيقية، حيث أضافت إليها روائع الفكر الجديد، فاهتم الأثينيون بالتطور الفكري، واعتنوا بتربية الإنسان، وجعلوا التربية همهم الأول، حيث أخرجت أثينا نخبة الأساتذة العقل البشري والفلاسفة الخالدين الذين أثروا في العلوم الإنسانية.

وفي اسبرطة لعبت التربية دورا حيويا في بناء المجتمع والذي لا يزال يعتبر نموذجا للتربية التي تميزت بطابعها العسكري ونظامها التربوي الانتقائي الصارم، حيث عملت مجتمع متين موحد وقوي في مواجهة أقسى الظروف.

أما أثينا فقد عملت على تربية الفرد وركزت على قوة شخصيته لمواجهة أصعب الظروف، وقد حرصت التربية عند التربية عند الرومان على تخريج أجيال مدربين على فنون القتال والحرب. حتى التربية الحديثة في بناء المجتمعات الحديثة، هذا ما تفعله الأمم، وهذا ما فعلته التربية الإسرائيلية، حتى أعدت دولتها، قامت ببناء مجتمع حربي مستعد دائما للقتال، عن طريق التربية.

وفي اليابان نموذج رائع بعد هزيمتها في الحرب العالمية الثانية، قامن ببناء مجتمع قوي ومتحضر صناعي، يحل المسؤولية في جميع الاتجاهات، وقد لعبت التربية دورا بارزا في هذه الحضارة. وتطبيقا لذلك نشأت الأمة والدولة الدولة العربية الإسلامية وتطورت ظروف انتشار القوة العربية تحت لواء الرسالة الإسلامية في مواجهة التحدي الخارجي، بفضل الإنسان العربي المسلم الجديد الذي أصر الرسول على توفير التربية الجيدة له حتى يصوغه أولا قبل الإقدام على نشر الدعوة الإسلامية. إلى أن بدا الوهن والضياع يدب في هذا القوم نتيجة بعدهم عن التربية الإسلامية الصحيحة. ومن هنا نرى كيف التربية لعبت ولا تزال تلعب دورا هاما وأساسيا في بناء الإنسان والمجتمع وتطويرهما قديما وحديثا..

وهكذا فإن التربية تستطيع تحقيق ذلك باعتبار أنها وظيفة اجتماعية تتفاعل مع مجتمعها تأثرا فيه، وخاصة إذا ما استطاعت العمل على:-

1- إحداث تنمية اجتماعية حقيقية داخل المجتمع العربي بمواجهة التخلف وتحدي حضاري شامل ومتكامل.
2- إن إحداث تنمية اجتماعية شاملة داخل المجتمع العربي تستجوب من التربية تنمية القدرة العربية من الموارد والطاقات الذاتية وحدها على مواجهة التحديات.
3- إن إعداد الإنسان العربي الذي يمثل الثروة الحقيقية إعدادا حضاريا متميزا سيظل يمثل حجر الأساس في عملية بناء المجتمع العربي المستقبلي، وهذا يتطلب من التربية جهدا واعيا ودورا كبيرا لتحقيقه فكرا وتطبيقا.
4- أن تعمل التربية على جعل الوعي العلمي فكرا ومنهجا وتطبيقا أساسه في الحياة العامة، داخل المجتمع العربي، وذلك من خلال تطوير البحث العلمي وتشجيع مؤسساته واستيعاب كل منجزاته والإسهام في تحقيق أهدافه.
5- منح المرأة العربية كل فرص التعليم المتكافئة باعتبارها تمثل المجتمع.

6- جعل التخطيط التربوي أساسا ومنهجا دائما لربط أهداف التربية وبرامجها ومناهجها بحاجات المجتمع من القوى العاملة والمهارات الازمة لبنائه وتطويره.

سادسا: الوظائف الاجتماعية للتربية

التربية نظام اجتماعي أساسي في كل المجتمعات دعت إليه ضرورة ملحة، وهي تنشئ الأطفال تنشئة اجتماعية وتربيهم ليصبحوا مواطنين صالحين في المجتمع، ومن أهم وظائفها الاجتماعية:

أ- نقل التراث الثقافي المسؤول عن تحويل الأفراد من الطبيعة البيولوجية إلى الطبيعة الإنسانية.
ب-تجديد التراث الثقافي والإضافة إليه.
ت-تحديد مركز الفرد الاجتماعي والدور الذي يقوم به.

بعض المؤسسات التربوية وأثرها في تربية الفرد والمجتمع:

من المعروف أن التربية نشاط أو عملية اجتماعية هادفة، وأنها تستمد مادتها من المجتمع الذي توجد فيه، إذ أنها رهينة المجتمع بكل ما فيه ومن فيه من عوامل ومؤثرات وقوى وأفراد، وأنها تستمر مع الإنسان منذ أن يولد وحتى يموت، لذلك فقد كان من أهم وظائفها إعداد الإنسان للحياة، والعمل على تحقيق تفاعله وتكيفه المطلوب مع مجتمعه الذي يعيش فيه فيؤثر فيه ويتأثر به.

ولأن هذا التأثر والتأثير لا يمكن أن يحصل إلا من خلال المؤسسات الجتماعية المتنوعة التي تتولى مهمة تنظيم علاقة الإنسان بغيره، وتعمل على تحقيق انسجامه المطلوب مع ما يحيط به من كائنات ومكونات، فإن العملية التربوية مستمرة مع الإنسان منذ أن يولد وحتى يموت، وتتم من خلال المؤسسات التربوية الاجتماعية التي تتولى مهمة تربية الإنسان، وتكيفه مع مجتمعه، وتنمية وعيه الإيجابي، وإعداده للحياة فيه. وتعد هذه المؤسسات التربوية بمثابة الأوساط أو التنظيمات التي تسعى المجتمعات لإيجادها تبعا لظروف المكان والزمان، حتى تنقل من خلالها ثقافتها، وتطور حضاراتها، وتحقق أهدافها وغاياتها التربوية.

سابعا: المؤسسات التربوية

للإشارة فإن المؤسسات التربوية لا تكون على نمط واحد، أو كيفية واحدة طول حياة الإنسان، إذ إنها متعددة الأشكال، مختلفة الأنماط، وتختلف باختلاف مراحل عصر الإنسان، وظروف مجتمعه، وبيئته المكانية والزمانية والمعيشية، وما فيها من عوامل وقوى. كما تختلف باختلاف نوعية النشاط التربوي الذي تتم ممارسته فيها.

وهنا يمكن تعريف المؤسسات التربوية بأنها تلك البيئات أو الأوساط التي تساعد الإنسان على النمو الشامل لمختلف جوانب شخصيته، والتفاعل مع من حوله من الكائنات، والتكيف مع من حوله من مكونات.

ويأتي من أبرز وأهم المؤسسات التربوية في المجتمع والأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق إلى جانب المسجد ووسائل الإعلام والأندية وأماكن العمل ونحوها من المؤسسات المختلفة التي تؤثر على تربية الإنسان سواء كان ذلك التأثير بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

ومعنى هذا أن تربية الإنسان لا يمكن أن تتم إلا من خلال بعض المؤسسات أو الوسائط الاجتماعية المختلفة. ونظرا لكثرة هذه المؤسسات وتنوعها واختلاف أشكالها وأنماطها، فقد عرف المجتمع المسلم عبر تاريخه الطويل عددا من هذه المؤسسات الاجتماعية التربوية والتعليمية المختلفة التي كانت نتاجا طبيعيا للعديد من المطالب والتحديات والتغيرات الحضارية التي طرأت بين حين وآخر على العالم الإسلامي. بل إن كل مؤسسة من المؤسسات التربوية التي عُرفت في الإسلام إنما نشأت استجابة لحاجة وظروف اجتماعية معينة.

ويأتي من أبرز هذه المؤسسات التربوية والتعليمية مايلي:

أ- **الأسرة (المنزل):**

وهي الخلية الأولى التي يتكون منها نسيج المجتمع، كما أنها الوسط الطبيعي الذي يتعهد الإنسان بالرعاية والعناية منذ سنوات عمره الأولى. وقد حث الإسلام على تكوينها والاهتمام بها لأثرها البارز في بناء شخصية الإنسان وتحديد معالمها منذ الصغر. وتتكون الأسرة في الغالب من مجموعة أفراد تجمعهم فيها ظروف المعيشة الواحدة وتربطهم رابطة شرعية قائمة على المودة والمحبة.

وتعد الأسرة أهم المؤسسات التربوية الاجتماعية التي لها الكثير من الوظائف، وعليها العديد من الواجبات الأساسية حيث تعتبر بمثابة المحضن الأول الذي يعيش الإنسان فيها أطول فترة من حياته، كما أن الإنسان يأخذ عن الأسرة العقيدة، والأخلاق، والأفكار، والعادات، والتقاليد، وغير ذلك من السلوكيات الإيجابية أو السلبية.

وللأسرة وظائف كثيرة ومتنوعة لاسيما أنها تعنى بتنمية ورعاية جميع الجوانب الشخصية للإنسان في مختلف مراحل عمره. وعلى الرغم من اشتراك الأسرة المسلمة مع غيرها من الأسر في أداء بعض الوظائف التربوية، إلا أن للأسرة المسلمة بعضا من الوظائف التربوية المميزة التي من أبرزها مايلي:

أ/ العمل على تزويد المجتمع المسلم بالذرية الصالحة التي تحقق قوله _صلى الله عليه وسلم_ "**تزوجوا الولود والودود فإني مكاثر بكم**" (رواه النسائي). والتي تكون عاملا قويا في تحقق واستمرار الحياة الأسرية وضمان استقرارها.

ب/ تحقيق عوامل السكون النفسي والطمأنينة لجميع أفراد الأسرة حتى تتم عملية تربيتهم في جو مفعم بالسعادة بعيدا عن القلق والتوتر والضياع. ويأتي ذلك تحقيقا لقوله تعالى: ((**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)) (سورة الروم: الآية رقم 21)

ج/ حسن تربية الأبناء والقيام بواجب التنشئة الاجتماعية الايجابية، والعمل على صيانة فطرتهم عن الانحراف والضلال، تحقيقا لقوله _صلى الله عليه وسلم_: "**كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**" (رواه البخاري)

د/ توفير مقومات التربية الإسلامية الصحيحة لأفراد الأسرة عن طريق العناية بمختلف الجوانب الشخصية للإنسان (روحيا، وعقليا، وجسميا). والحرص على توازنها وتكاملها لما لذلك كله من الأثر الكبير في تشكيل وتكوين الشخصية المسلمة السوية، والعمل على تفاعلها وتكيفها مع ما حولها من المكونات، ومن حولها من الكائنات بصورة ايجابية، ومستمرة طول فترة الحياة.

هـ/ الحرص على توعية أعضاء الأسرة وخاصة الصغار منهم بكل نافع ومفيد، والعمل على تصحيح مفاهيمهم المغلوطة، وحمايتهم من كل ما يهدد سلامتهم وسلامة غيرهم، وتعليمهم الأخلاق الكريمة، والآداب الفاضلة، والعادات الحسنة حتى يشبون عليها، ويتعودون على مبدأ التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل.

و/ إكساب أعضاء الأسرة الخبرات الأساسية والمهارات الأولية اللازمة لتحقيق تكيفهم وتفاعلهم المطلوب مع الحياة، وإكسابهم الثقة بالنفس والقدرة على التعامل مع الآخرين.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الدور التربوي للأسرة في عصرنا الحاضر قد تقلص بعض الشيء ولم يعد بنفس المنزلة التي كان عليها من قبل، والسبب في ذلك أن هناك مؤسسات اجتماعية أخرى تمكنت في العصر الحاضر من مزاحمة الأسرة والسيطرة على معظم الوقت الذي يقضيه الإنسان تحت تأثيرها ومن هذه المؤسسات وسائل الإعلام التي تعد بحق في عصرنا أهم وأبرز المؤسسات التربوية الاجتماعية المؤثرة تأثيرا فاعلا في حياة الإنسان صغيرا كان أو كبيرا، جاهلا أو متعلما، ذكرا أو أنثى.

الدور التربوي للأسرة:

يأتي مفهوم البيت والأسرة دائما مع وجود الأبناء فالهدف من تكوين الأسرة هو حصول الوالدين على أبناء وبمعنى آخر فالأسرة كيان يتم بناءه من أجل الوصول إلى أهداف معينة أهمها إنجاب الأبناء

وتربيتهم، والواقع أن تربية الأبناء ليس بالأمر السهل بل هي مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الأسرة حيث يتطلب الأمر الكثير من الجهد والتخطيط فإذا ابتغى الوالدان التوفيق في تربية أبناء صالحين وبناء مستقبل واعد لهم ينبغي عليهما تحديد أهداف تربوية معينة ومعرفة الوسائل والطرق اللازمة للحصول على تلك الأهداف حيث يشكل ذلك برنامجا تربويا متكاملا وعلى الوالدين تربية أبنائهم وفق هذا البرنامج. فالوالدان اللذان لا يفكران في تربية أبنائهم لا يحق لهما انتظار المعجزة والمستقبل من أبنائهم فكما نسمع في الزراعة اصطلاحات الري والغرس وجني الثمار ففي عملية التربية والتعليم أيضا ما يشابه ذلك أي أن الأبناء يعتبرون الثمار الناتجة من الجهود التربوية للوالدين وهناك جوانب أساسية في التربية ينبغي على الأسرة مراعاتها أهمها:

1) تنمية شخصية الطفل واكتشاف القدرات الذاتية:

الإنسان في طفولته يملك مواهب فكرية ونفسية وعاطفية وجسمية ووظيفة الأسرة تنمية هذه المواهب واكتشاف القدرات والصفات التي يملكها أبنائهم والتعرف إلى نقاط القوة والضعف، وفي الواقع تختلف قابلية الأطفال ومقدرتهم في تلقي الدروس حيث التباين الفردي والتنوع في الميول والاتجاهات وفي هذا الجانب ينبغي على الأسرة والمدرسة مراعاة ذلك.

2) تنمية العواطف و المشاعر:

العواطف والمشاعر مثلها مثل غيرها من مقومات الشخصية لدى الإنسان تحتاج إلى التربية والإرشاد ولعل من أهم العوامل التي يجب أن تراعيها الأسرة اللامبالاة وعدم الاكتراث والاهتمام بمطالبهم لأن هذه المشاعر هي علامات تدل على ميل نحو بعض الأمور أو بالعكس تفسر نفوره وعدم ميله نحو أمور أخرى فإذا علم الوالدان ذلك أمكنهم تصحيح المسار نحو الوجهة السليمة.

3) تنظيم وقت الطالب واستغلال ساعات الفراغ:

هذا الجانب من أهم الجوانب التي يجب على الأسرة مراعاتها حيث يعتبر الفراغ مشكلة المشاكل عند الشباب وعليه فإن المسؤولية تقع على ولي الأمر فيجب عليه تنظيم وقت الطالب بحيث يكون هناك وقت كافي ومناسب للمذاكرة ووقت مناسب آخر للترفيه في الأشياء المفيدة وفي هذا الجانب يعتبر قرب ولي الأمر من أبنائه ومتابعته لهم ومنحهم الرعاية هي أقصر الطرق لسد ساعات الفراغ.

4) مراعاة توفير الحاجات النفسية:

إن الأطفال لهم حاجات نفسية مختلفة منها اطمئنان النفس والخلو من الخوف والاضطراب والحاجة للحصول على مكانة اجتماعية واقتصادية ملائمة والحاجة إلى الفوز والنجاح والسمعة الحسنة والقبول

من الآخرين وسلامة الجسم والروح، وعلى الوالدين إرشاد أبنائهم وتربيتهم التربية الصحيحة حتى لا تنحرف حاجاتهم فتتولد لديهم مشكلات نفسية واجتماعية.

5) اختيار الأصدقاء:

تعتبر الصداقة وإقامة العلاقات مع الآخرين من الحاجات الأساسية للأبناء خصوصا في سن الشباب فالأطفال والناشئون يؤثرون على بعضهم البعض ويكررون ما يفعله أصدقاؤهم وبكل أسف يتورط عدد من شبابنا في انحرافات خلقية نتيجة مصاحبة أصحاب السوء، ومن أجل اختيار الصديق الصالح يجب على الوالدين أو على الأسرة كلها توضيح معايير الصداقة لأبنائهم وصفا الصديق غير السوي مع المتابعة المستمرة لذلك.

6) العلاقات الأسرية وأسس التعامل مع الأبناء:

إذا بنيت علاقات الأسرة على الاحترام سيكون بناؤها قويا متينا وهذا في الواقع يؤثر تأثيرا ايجابيا على مستقبل الأبناء وعلاقاتهم الاجتماعية وإذا عامل الأبوان أبناءهم معاملة حب وتكريم فإن حياتهم تكون خالية من القلق والاضطراب أمل استعمال العنف والألفاظ البذيئة يسبب إضعاف شخصية الابن وتوتره وعموما ينبغي التوازن في التربية أي لا إفراط ولا تفريط حتى لا تكون هناك نواحي عكسية.

7) القدوة الحسنة:

الأطفال يقلدون في سلوكياتهم الآباء والأمهات والمعلمين فالأطفال الصغار يتأثرون أكثر بآبائهم وأمهاتهم لكن عند ذهابهم إلى المدرسة يتأثرون أكثر بمعلميهم، وعلى هذا يجب أن يعلم المربون أن أفكارهم وسلوكهم وكلامهم نموذج يحتذى به من قبل الأبناء وعليه يجب أن يكونوا قدوة في كافة تصرفاتهم.

ب-المسجد:

يعد المسجد أبرز وأهم المؤسسات الاجتماعية التربوية التي ارتبطت بالتربية الإسلامية ارتباطا وثيقا نظرا لعدد من العوامل التي أدت في مجموعها إلى ذلك الارتباط والتلازم، لاسيما وأن المسجد لم يكن في المجتمع المسلم الأول مجرد مكان لأداء العبادات المختلفة فقط بل كان أشمل من ذلك، إذ كان جامعا لأداء العبادات من الفرائض والسنن والنوافل، وجامعة للتعليم وتخريج الأكفاء من الخلفاء والعلماء والفقهاء والأمراء، ومعهدا لطلب العلم ونشر الدعوة في المجتمع، ومركزا للقضاء والفتوى، ودارا للشورى وتبادل الآراء، ومنبرا إعلاميا لإذاعة الأخبار وتبليغها، ومنزلا للضيافة وإيواء الغرباء،

ومكانا لعقد الألوية وانطلاق الجيوش للجهاد في سبيل الله تعالى، ومنتدى للثقافة ونشر الوعي بين الناس، إلى غير ذلك من الوظائف الاجتماعية المختلفة.

وبذلك يمكن القول إن المسجد في الإسلام يعد جامعا وجامعة، ومركزا لنشر الوعي في المجتمع، ومكانا لاجتماع المسلمين ولم شملهم، وتوحيد صفهم. وهو بحق أفضل مكان وأطهر بقعة وأقدس محل يمكن أن تتم فيه تربية الإنسان المسلم وتنشئته، وليكون بإذن الله تعالى فردا صالحا في مجتمع صالح.

ولعل من أهم ما يميز رسالة المسجد التربوية في المجتمع المسلم أنه يعطي التربية الإسلامية هوية مميزة لها عن غيرها، وأنه مكان للتعليم والتوعية الشاملة التي يفيد منها جميع أفراد المجتمع على اختلاف مستوياتهم، وأعمارهم، وثقافاتهم، وأجناسهم، إضافة إلى فضل التعلم في المسجد، وما يترتب على ذلك من عظيم الأجر وجزيل الثواب. فقد روي عن أبي هريرة _رضي الله عنه_ أنه قال: قال رسول اله _صلى الله عليه وسلم_: "**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده**" (رواه ابن ماجة، جـ1، رقم225، ص82)

ث-المدرسة:

وهي من أهم وأبرز المؤسسات الاجتماعية التربوية التي أنشأها المجتمع للعناية بالتنشئة الاجتماعية لأبنائه وتربيتهم وتهيئتهم وإعدادهم للحياة. كانت تربية الأبناء قبل إنشاء المدارس بيد الآباء ورجال الدين وكان الأطفال يتعلمون عن طريق تقليد الكبار ونتيجة لتضخم التراث البشري وصعوبة تقليد الصغار للكبار نشأت الحاجة للمدارس.

فالمدرسة مؤسسة اجتماعية تعمل على تحقيق أهداف المجتمع والمحافظة عليها من خلال مسؤوليتها بتربية التلاميذ وإعدادهم بالمعلومات والاتجاهات والقيم اللازمة لهم في الحياة.

ولقد تميز القرن العشرين بازدياد إشراف الدول على التعليم لدرجة أن معظم الدساتير الحديثة تتضمن مواد تتعلق بالتعليم من حيث تخطيطه وتنظيمه وتمويله، كما توسعت الدول في فتح المدارس من أجل المحافظة على التراث الثقافي للمجتمع وإعداد المواطنين بما يتفق وخصائص المجتمع وأهدافه، وهو مما يجب أن يقوم به المنهج ويعمل على تحقيقه. فالمدرسة لا تعمل في فراغ وإنما لها علاقة بكل مؤسسات المجتمع من الأسرة، المؤسسات الدينية، وسائل الإعلام، مؤسسات أخرى مثل السينما والمسرح والأندية والجمعيات والمعارض والمكتبات والمتاحف.

إن الوظيفة الأولى للمدرسة هي إعداد الناشئة للمحافظة على القيم والمبادئ الأساسية السائدة في المجتمع فمن واجب القائمين على تخطيط المنهج تحليل هذه القيم والمبادئ للتمكن من وضع منهاج تربوي يساير الأوضاع الاجتماعية ويلبي احتياجاتها. وانطلاقا من أهمية التعليم كقوة فاعلة في تحقيق الأهداف التي يسعى إليها كل مجتمع فقد أصبح وظيفة عامة تشرف عليها الدولة، وهذا ما دفع معظم الدول الحديثة إلى جعل التعليم مجانيا وإلزاميا لفترة من الوقت، والمنهج يقوم على أساسين هما:

- فهم الأهداف الاجتماعية فهما عميقا والعمل على تلبيتها.
- قيام المدارس بدور إيجابي في مساعدة التلاميذ على تحليل وفهم تلك الأهداف وتنفيذها.

من أول واجبات المدرسة تزويد التلاميذ باقدر المناسب من ثقافة مجتمعهم الذي يعيشون فيه، ولابد لمعرفة العلاقة بين المنهج المدرسي وثقافة المجتمع من توضيح مفهوم الثقافة وما أصابه من تطور.

فالثقافة _أو التراث الثقافي_ هي طريقة الحياة الكلية للمجتمع بجوانبها الفكرية والمادية وتشمل الثقافة اللغة وأسلوب تناول الطعام وارتداء الملابس والعادات والتقاليد والمعارف العلمية والنظم العائلية والاقتصادية والسياسية، ومما يعتنقه الناس من قيم دينية وخلقية وآراء سياسية وغيرها من أساليب الحياة.

وقد نتج عن هذا التطور في مفهوم الثقافة تغير في مفهوم المنهج فبعد أن كانت المناهج تتناول الجانب الفكري المعرفي من حياة المجتمع أصبحت تتناول أوجه الحياة تؤثر في الفرد والمجتمع. وعلى الرغم من أنه لا يُعرف متى وأين وكيف ظهرت أول مدرسة في التاريخ وإلا أنه يمكن القول إنها ظهرت عندما دعت الحاجة إليها. ولعل من أبرز وأهم وظائف المدرسة مايلي:

- أنها تعمل على تبسيط ونقل التراث المعرفي والثقافي ونحو ذلك من جيل الكبار إلى جيل الصغار، أو من المعلمين إلى الطلاب تبعا لما يتناسب واستعداداتهم وقدراتهم المختلفة، فينتج عن ذلك جيل متعلم وثقف.
- أنها تعمل على استكمال ما كان قد تم البدء فيه من تربية منزلية للفرد، ثم تتولى تصحيح المفاهيم المغلوطة، وتعديل السلوك الخاطئ، إضافة إلى قيامها بمهمة التنسيق والتنظيم بين مختلف المؤسسات الاجتماعية ذات الأثر التربوي في حياة الفرد فلا يحدث نوع من التضارب أو التصادم أو العشوائية.
- أنها تقوم بدور كبير في عصرنا الحاضر حينما تكون في معظم الأحيان بديلا للأسرة إذ يتشرب الصغار فيها عادات وقيم وأخلاق وسلوكيات مجتمعهم الذي يعيشون فيه.

- أنها بمثابة مركز الإشعاع المعرفي في البيئة التي توجد فيها، إذ إنها تقدم للمجتمع كله خدمات كثيرة ومنافع عديدة من خلال نشر الوعي الصحيح بمختلف القضايا، وكيفية التعامل السليم مع من حول الإنسان وما حوله.
- أنها تعمل على إشاعة الوعي الإيجابي عند أبناء المجتمع تجاه مختلف القضايا الفردية والجماعية سواءا كان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر.

ج- وسائل الإعلام:

وهي مؤسسات اجتماعية تربوية إعلامية تكون في العادة مرئية، أو مسموعة، أو مقروءة. وتعد هذه الوسائل على اختلاف أنواعها من أهم وأبرز الوسائط التربوية في عصرنا الحاضر، وأكثرها تأثيرا على تربية وثقافة ووعي الإنسان، حيث تقدم برامج مختلفة وثقافات متنوعة من خلال وسائلها الجماهيرية المختلفة التي منها: الإذاعة، والتلفزيون، والفيديو، و الصحافة، وشبكة الإنترنت، وأشرطة التسجيل السمعية، والسينما، والمسارح، والمعارض، والمتاحف، وغيرها من الوسائل الأخرى التي تخاطب جميع الفئات، ومختلف الأعمار، وتدخل كل بيت، وتصل إلى كل مكان. وتمتاز وسائل الإعلام بقدرتها الفائقة على جذب اهتمام الناس من مختلف الأعمار، والثقافات، والبيئات. كما تمتاز بأن لها تأثيرا قويا على الرأي العام في مختلف الظروف، وأن تأثيرها يصل إلى قطاعات عريضة من فئات المجتمع، وهذا يعني أنه من المهم جدا استثمارها والإفادة منها، والعمل على تسخيرها بشتى الطرق والكيفيات لخدمة أهداف وأغراض التربية الإسلامية، عن طريق التنسيق المستمر بين هذه الوسائل وغيرها من المؤسسات التربوية الأخرى في المجتمع. وعن طريق إسناد مهمة الإشراف عليها لمن تتوافر فيه الكفاءة الدينية والخلقية والعلمية والمهارية.

ح- النوادي:

وهي مؤسسات اجتماعية تربوية تكون في الغالب (ثقافية، أو رياضية، أو اجتماعية). وقد كثر انتشارها في المجتمعات المعاصرة. وتعد أماكن يلتقي فيها الإنسان مع فئة من الناس الذين يجمعهم هدف مشترك، أو مصلحة مشتركة، حيث إنها تقدم إمكانات هائلة لحياة اجتماعية يقبل عليها الأفراد باختيارهم وطواعيتهم، ليتمتعوا في رفقة زملائهم وأقرانهم بجو من المرح والعمل. وفي الأندية فرص متعددة لممارسة رياضة المفضلة، وتكوين العلاقات الاجتماعية مع الآخرين. وتزداد أهمية الأندية في التنشئة الاجتماعية _ كما يشير إلى ذلك بعض الباحثين_ مع زيادة عجز الأسرة عن توفير الفرص الكافية والمناسبة لممارسة النشاطات الرياضية، والاجتماعية، والثقافية المختلفة.

وللنوادي (الأندية) صور مختلفة ومتنوعة تبعا لمستوى وعي وثقافة المجتمع وظروفه المختلفة، فمن النوادي ما يكون مخصصا للرياضة البدنية وممارسة ألعابها ونشاطاتها المختلفة.

ومنها ما يكون مخصصا للعناية بالجوانب الثقافية والأنشطة الأدبية والفعاليات الفكرية، ومنها ما هو اجتماعي يهتم بخدمة المجتمع وتلبية احتياجات أفراده. إلا أنها تشترك جميعا في أن لها آثارا هاما في بناء شخصية الإنسان، وتحديد اتجاهاته، وتكوين ثقافته وفكره، لاسيما في فترة الشباب من العمر التي يكثر الإنسان خلالها من تواصله مع هذه المؤسسات بصورة أو بأخرى. كما أن من آثارها الإيجابية شغلها لأوقات الفراغ عند الإنسان بما يعود عليه بالنفع والفائدة. وليس هناك من شك في أن التربية الإسلامية تعنى بالنوادي على اختلاف أنواعها لكونها مؤسسات اجتماعية تربوية لها أثر بارز ودور فاعل في تربية الإنسان المسلم وتحديد معالم شخصيته، وتحرص على أن تخضع هذه النوادي وما فيها من أنشطة وفعاليات متنوعة للإشراف المستمر الواعي، والتوجيه الصحيح المنضبط الذي يتلاءم ويتوافق مع مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، ولا يتعارض بأي حال مع تعاليمه وتوجيهاته في مختلف المجالات والميادين الحياتية.

خ- المكتبات العامة:

وهي أماكن خاصة تتوافر فيها الكتب، والمراجع، والمواد المطبوعة أو غير المطبوعة التي تقدم عددا من الخدمات التعليمية، والتثقيفية، والإعلامية، والتوعية اللازمة لأفراد المجتمع. وعادة ما تكون هذه المكتبات تحت إشراف بعض الجهات الرسمية. كما أنها قد تكون ملحقة ببعض المؤسسات الاجتماعية كالمؤسسات التربوية والتعليمية، والجوامع، والنوادي، وبعض المرافق الاجتماعية الأخرى. وقد تكون بعض المكتبات خاصة ببعض الأفراد.

ويأتي من أبرز مهام المكتبات تسهيل مهمة الإطلاع والقراءة على القراء وطلاب العلم، وتمكين الباحثين والدارسين من القيام بمهمة البحث والدراسة بأنفسهم من خلال المكتبات بالعودة إلى المصادر والمراجع العلمية والأدبية ونحوها، حيث تقوم المكتبات بتوفير أهم المؤلفات والمصنفات فيها لتكون بين يدي القراء والباحثين عند الرغبة في العودة إليها.

كما أن من أبرز مهام المكتبات تيسير سبل الإطلاع على محتوياتها من خلال نظام الإعارة الخارجية للراغبين في ذلك من روادها أو غيرهم من أفراد المجتمع. وللمكتبات العديد من المناشط التي تسهم من خلالها في نشر الثقافة والمعرفة، وخدمة القضايا التربوية والتعليمية والاجتماعية ونحوها. ولعل من أبرز هذه المناشط والإسهام في تنظيم المسابقات الثقافية، وعقد الدورات التدريبية، إقامة المحاضرات والندوات المتنوعة، وتنظيم معارض الكتاب، ونحو ذلك من النشاطات المختلفة.

د- جماعات الرفاق:

وهي نوع من المؤسسات الاجتماعية التربوية التي لها تأثير كبير في تربية الإنسان انطلاقا من كونه كائنا حيا اجتماعيا يميل بفطرته إلى الاجتماع بغيره، ولذلك فإن جماعة الرفاق في أي مجتمع بمثابة

جماعة أولية شأنها شأن الأسرة في الغالب، لأنها صغيرة العدد، وتكون عضوية الفرد فيها تبعا لروابط الجوار، والشريحة العمرية، والميول، والدور الذي يؤديه الفرد في الجماعة.

ولجماعات الرفاق أثر فاعل في تربية الإنسان وتكوين شخصيته لاسيما في سنوات مرحلتي الطفولة والمراهقة، حيث يكون أكثر تأثرا بأفراد هذه الجماعات الذين يكونون عادة من الأنداد، سواء كانوا زملاء دراسة، أو رفاق لعب، أو أصدقاء عمر، أو غيرهم ممن يرافقهم الإنسان لفترات طويلة أو قصيرة. ولعل تأثير جماعة الرفاق على الإنسان عائد إلى اختلاف أفرادها، وتنوع ثقافاتهم، واختلاف بيئاتهم.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن أماكن العمل سواء كانت رسمية أو تطوعية تعد من جماعات الرفاق إلا أنه يغلب عليها الطابع الرسمي في العادة، وهي مؤسسات اجتماعية ذات تأثير هام على تربية الإنسان بعامة نظرا لما يترتب على وجوده فيها من احتكاك بالآخرين، إضافة إلى أنه يقضي فيها جزءا ليس بايسير من وقته الذي يكتسب خلاله الكثير من المهارات، والعادات، والطباع، والخبرات المختلفة. والمعنى أن جماعات الرفاق توجد وتمارس نشاطاتها المختلفة والنشاطات المرغوب فيها كالنشاطات الرياضية، أو الترويحية، أو الثقافية، أو الاجتماعية، أو الوظيفية، أو التطوعية، ونحوها.

كما أن لكل جماعة من جماعات الرفاق ثقافة خاصة بهم، وهذه الثقافة تعد فرعية ومتناسبة مع مستوياتهم العقلية والعمرية، وخبراتهم الشخصية، وحاجاتهم المختلفة، إلا أنها تختلف من جماعة إلى أخرى، تبعا للمستويات الثقافية والتعليمية والعمرية، والأوساط الاجتماعية المتباينة.

وقد اهتمت التربية الإسلامية بجماعات الرفاق وأدركت أهميتها ودورها الفاعل في التأثير على سلوك الأفراد سواء كان ذلك التأثير سلبيا أو إيجابيا، ولعل خير دليل على ذلك ما روي عن أبي موسى الأشعري _رضي الله عنه_ أنه قال: قال رسول الله _صلى الله عليه وسلم_: "**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرقثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة**" (رواه البخاري).

وعلى الرغم من تعدد أنواع هذه المؤسسات الاجتماعية وتعدد وظائفها وواجباتها إلا أن علاقة الإنسان المسلم بالمؤسسات التربوية في المجتمع تنطلق من كون التربية الإسلامية عملية تمتاز بخاصية الشمول والاستمرارية والتجدد، إذ أنه لا حد نهائي لتربية الإنسان المسلم، فهو طالب علم ومعرفة منذ أن يولد وحتى يموت، ولذلك فإن تربيته الشاملة ليست محدودة بزمن ما، أو مرحلة معينة، ولا تقتصر مسؤوليتها على مؤسسة دون أخرى، ولكنها مسؤولية جميع المؤسسات والأوساط التربوية في المجتمع، لأن الإنسان يمكن أن يكون عضوا في عدة مؤسسات تربوية تعليمية ما دام حيا، فمثلا يكون الولد فردا في أسرة، وطالبا في مدرسة، وعضوا في النادي الرياضي، ومداوما على الصلاة وحلقات العلوم في المسجد المجاور. وقد يكون الوالد أبا في المنزل، ومدرسا في مدرسة، أو طبيبا في المستشفى، وهو إداري

في النادي، ومساهم في نشاط الإذاعة والتلفزة. وتكون السيدة أُمّا في المنزل، وعضوا في الجمعية النسائية، وطبيبة أو مديرة. وهكذا فحياة المسلم أو المسلمة كلها خير وإنتاج، تعتمد على مزيد من التربية والتعليم.

والخلاصة أن للمؤسسات التربوية المختلفة في المجتمع المسلم أهمية بالغة، وأثرا بارزا في العملية التربوية بعامة والتعليمية بخاصة، الأمر الذي يفرض الذي يفرض على المهتمين في الميدان التربوي والتعليمي مزيدا من العناية والاهتمام بها، والحرص على أن تكون متميزة في المجتمع المسلم، ومختلفة عن مثيلاتها في المجتمعات الأخرى، نظرا لكون المجتمع المسلم ينفرد عن غيره من المجتمعات الأخرى بمصاده، وأهدافه، وغاياته، وخصائصه التي تفرض على مؤسساته التربوية المختلفة في المجتمع المسلم أن تكون فريدة هي الأخرى، ومتميزة وقادرة على تحقيق ما هو مرجوٌّ منها، لأنها هي المسئولة عن تربية الإنسان المسلم، وإعداده لممارسة أدواره ووظائفه الاجتماعية المختلفة في الحياة.

العلاقة بين المؤسسات التربوية وأثر ذلك على تربية المتعلم:

إن المؤسسات التربوية الاجتماعية تعمل كوسيلة للسيطرة الاجتماعية فإن كانت تشكل كلا متحدا ومنسجما ومتكاملا فإن حياة الفرد تتعرض لأقل الضغوط، فالأسرة تنسجم داخل المؤسسة الاقتصادية والدينية... لكن هذا لا يعني ألا يكون هناك تغيير وتأثير على شخصية المتعلم، فالتطورات الاقتصادية والأفكار الجديدة قد تتعارض مع التقاليد القديمة.

ثامنا: علاقة التربية بالتنشئة الاجتماعية

لا شك أن عملية التنشئة الاجتماعية للأبناء تعدّ عملية تربوية اجتماعية بوصفها إحدى العمليات التي تتم من خلالها استمرار المجتمع وتطوره وقد أسهمت العلوم الاجتماعية والأنثروبلوجية وعلوم التربية في نشأة مفهوم التنشئة الاجتماعية وتبني كل منها منظورا يختلف عن الآخر إلاّ أنها في النهاية تحدد ماهية التنشئة الاجتماعية.

وتعتبر عملية التنشئة الاجتماعية في حقيقتها عملية تعلم لأنها تعديل أو تغيير في السلوك نتيجة التعرض لخبرات وممارسات معينة.

تهدف التربية إلى نقل التراث الثقافي للمجتمع واتجاهاته ومعاييره وتقاليده وأعرافه ونظمه ومعتقداته من جيل الكبار إلى جيل الصغار فالأجيال الجديدة تنشأ على التراث الثقافي للمجتمع وتتعلم في ضوئه اللغة وتتلقى وتكتسب المهارات والقيم ولا يقتصر دور التربية على نقل التراث الثقافي بل تتولى تنقيته وتجويده.

فالتربية عملية اجتماعية ثقافية تكسب جيل الصغار الصفة الاجتماعية من خلال عملية التشكيل الثقافي التي تتصف بالالتزام ومن ثم تتضمن التنشئة الاجتماعية. فالتنشئة الاجتماعية في أي مجتمع لا تنشأ من فراغ بل هي انعكاس لثقافة المجتمع التي هي جزء منه ذلك أنّ هناك علاقة وثيقة ومتبادلة بين أساليب التنشئة الاجتماعية والثقافة السائدة في المجتمع ومن ثم هناك أيضا علاقة تبادلية بين التربية والتنشئة الاجتماعية وكل منهما يمكن أن يكون مؤشرا ودليلا على نمو الآخر وتطوره، فالتنشئة الاجتماعية هي الوعاء الأول الذي يستطيع المجتمع من خلاله حفظ ثقافته من خلال المواقف الاجتماعية التي يتعرض لها الفرد. كما أن التربية في الوقت ذاته تحدد أساليب التنشئة المتبعة في المجتمع. ويكتسب الفرد شخصية وثقافة مجتمعه خلال العملية التربوية والتفاعل الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية عملية تربوية لكل ذو علاقة بالطفل من الآباء والأمهات والمعلمين وغيرهم حيث أنها تتضمن عملية تشكيل الفرد وبناء شخصيته على نموذج خاص يمكنه من النمو والاتزان مع ذاته والتكيف مع المجتمع والعمل على استقراره واستمراره. إن العملية التربوية هي العمل على تفهم الشخصية وتهيئة السُّبل لنموها المتكامل والمنسجم مع الواقع الاجتماعي في شموليته.

والتربية هي العملية التي تشكل الفرد وتكيّفه مع الواقع من خلال بناء شخصيته بما يتفق مع متطلبات ثقافته الاجتماعية وتحديد دوره الاجتماعي هذه التربية بهذا المعنى ما هي إلاّ عملية التنشئة الاجتماعية.

وخلاصة القول أن التربية هي عملية شاملة والتنشئة الاجتماعية جزء منها وتتضمنها لأن التربية تعني عملية نمو شامل للطفل جسميا وعقليا واجتماعيا وسط جماعة اجتماعية تعمل على الوصول به إلى أقصى ما تؤهله له قدراته الطبيعية.